www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دمشقُ

في عيونِ الأثريّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلامة محمد بهجة الأثري

٢٠٠٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دمشقُ في عيون الأثريّ

دمشق قارورة الطيب، كيف لا وهي الفيحاء أم الياسمين، تغنّى بها الشعراء منذ القدم وما زالوا، ومنهم شاعر العراق الأبيّ الأشمّ محمد بهجَة الأثري الذي ارتبط مع جل رجالها بصداقات حميمة وأتبعها بمصاهرتهم وكرمته الحكومة السورية بوسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى.

بين يديكم القصائد المستلة من ديوان الأثري الأول «ملاحم وأزهار» الذي قدم له الشاعر والأديب المصري عزيز أباظة وكذلك فعل الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب ثم قام المجمع العلمي العراقي بطبع الديوان الأول مع الإضافات وأسماه ديوان الأثري ــ الجزء الأول ــ وبعد وفاته قام المجمع العراقي بطبع ما وجدوه من قصائد لم يتضمنها الجزء الأول.

بمناسبة اختيار دمشق عاصمةً للثقافة العربية ارتأيت جمع هذه القصائد بهذا الديوان الصغير وأسميته «دمشق في عيون الأثري» وهو مساهمةٌ مني بهذه المناسبة السعيدة وتخليداً للذكرى الثانية عشرة[1] لرحيل الشاعر التي تصادفت مع هذه المناسبة ولدمشق في ضميري مكانة الخال في القلب.

يسار بهجة الأثري

(١) انتقل رحمةُ الله عليه يوم السبت الموافق ١٩٩٦/٣/٢٣ م والموافق للرابع من ذي القعدة ١٤١٦ هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجمهورية السورية

رئاسة وسام الاستحقاق السوري

صدر رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء

السيد جميل الأتاسي نائب رئيس المجمع العلمي العراقي

وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى بالمرسوم رقم ٤٠١ تاريخ ١٩٥٧/٢/١٦

دمشق في ١٦ رجب سنة ١٣٧٦ و ١٦ شباط سنة ١٩٥٧

رئيس مجلس الوزراء

سجل برقم ٠٠٤٥١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

إنّ قوارير الطِّيب إنّما تغلو بقدرِ ما فيها من عِطْر، والعِطْرُ يغلو مع نــَدْرَة الزَّهْر الذي استخلص منه، أفرأيتَ إلى قارورة من ذهب خالص مُلِئت بأغلى العطور؟

بين يَدَيَّ الآن ما هو أثمن من أيّ قارورة طيب، إنــّه ديوانٌ صدر حديثاً، تقرأ فيه شــعراً بلغــة سليمة مُشرقة، شعراً مُتألِّقَ القَسَمات، فتّان الرُّواء، يتيه بأبراد موشّاةٍ بأروعِ الصُّوَر، تُحِــسُّ معهــا صنعة مَنْ يتذوّق الجمال، ويُحسن اختيار الألفاظ، وتشتمُّ ــ وأنت تقرؤه ــ شَذا الرَّيْحــان، وعَبَــق النَّرْجس، وأريج الياسمين.

إنــّه ديوان جديد، ديوانُ شعرٍ يَعْرُبــيّ السِّمات، في نشْرِهِ فخرٌ للعربيّة أيُّ فخر، وهو لعشّاقها خمر، وأية خمر تُسْكِرُ بلا غَوْل ولا إثم؟

هذا هو ديوان (ملاحم.. وأزهار) لشاعر بغداد الكبير، وذُخْرِ العربيّة الجليل: الأســتاذ (مُحَمَّــد بهجة الأثــَريّ)[1].

لقد أمتاز (شعر الأثَريّ) بصفات بَوَّأته المكانة الرفيعة التّي يحتلّها اليومَ بين شعراء العربيّة، وهــو الّذي أغنى الأدباءَ والنُّقّادَ بشعره عن تعريف الشّعر وبيان حقيقته، فحدّد بنفسه معالمه، ووصف سماته، وعَدَّدَ بواعثه، مُشيداً بالنبيل من غاياته ومقاصده، فاستهلّ ديوانه بقصيدة من عيون الشِّــعر خَطَّهــا بيده، سَلِمَتْ يَدُه وقال في مطلعها[2]:

الشّــعْرُ... مــاروّى النُّفُــوسَ مَعِينُــهُ

وجَــرَتْ برقَــرْاقِ الشُّــعُورِ عُيُونُــهُ

وصَــفَتْ كــالألاءِ الضــيّاءِ حُرُوفُــهُ

وزهــت بــوَضّاءِ البيــانِ مُتُونُــهُ

(١) ظهر الديوان في أواخر عام ١٩٧٤ عن (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، وهو من منشورات (وزارة الثقافة) في (جمهورية مصر العربية) بتوصية من (لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية)، وقد كتب مقدمة رائعة له رئيس اللجنة شاعر مصر الكبير وفقيد العربية الأستاذ (عزيز أباظة).

(٢) القصيدة في ثمانية وثلاثين بيتاً، وهي مثبتة أيضاً بدءاً من الصفحة ٣٦٣ من الديوان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متـــــألّقُ القَسَـــــماتِ، فَتّـــــانُ الـــــرُّؤَا

يزهـــو صِـــبا الفصـــحى الطَّرِيـــرَ رَصِـــينُهُ

حُـــرُّ المـــذاهبِ... لا يشـــوبُ أصُـــولَهُ

كَـــدَرٌ، ولا واهِـــي اللغـــاتِ يَشِـــينُهُ

ابـــنُ الحقيقـــة، والحقيقـــةُ نَهْجُـــهُ

والصِّـــدْقُ في أرَب الحيـــاةِ خَدِينُـــهُ

تجـــري علـــى سَـــنَنِ الجـــلالِ خِلالُـــهُ

ويَـــرودُ أوْضـــاحَ الجمـــالِ يَقِينُـــهُ

غَـــرِدٌ.. كصَـــدّاح الكَنـــارِ، مُســـاوِقٌ

نغـــمَ الطّبيعـــةِ، راقِـــصٌ موزونُـــهُ

ويمضي الشّاعر في تحديد أوصاف الشِّعر الأصيل، ثمّ يتساءل في ختام قصيدته قائلاً:

أيْـــنَ الجديـــدُ البِكْـــرُ.. لـــيس بظـــالعٍ

مشَـــيْاً، ولـــيس بناصِـــلٍ تلوينُـــهُ؟

الواثِـــبُ الـــرُّوحِ، الأصـــيلُ شـــعورُهُ

وخيَالُـــــهُ، ونُزُوعُـــــهُ، ويَقِنُـــــهُ

تمـــتصُّ مـــن حُـــرّ البَيـــانِ عُرُوقُـــهُ

ويُجلِّـــــهُ إيقاعُـــــهُ، ويَزِينُـــــهُ

زاهٍ بأبْكـــــارِ التَّخَيُّـــــل ثوبُـــــهُ

لا عُـــــورُهُ تنتاشُـــــهُ، أو عُونُـــــهُ

يَسْـــتَنُّ سِـــحرُ الحُسْـــنِ في أعطافِـــهِ

ويَتِيـــــهُ منـــــه رَقيقُـــــهُ ومتَينُـــــهُ

وكأنَّمـــــا سُـــــقِيَ الرَّحِيـــــقَ مُعَلَّـــــلاً

فَتَـــــورَّدَتْ وَجَناتُـــــهُ وعيُونُـــــهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن (شعر الأثريّ) متعدّدُ الأغراض، متنوع المقاصد، وديوانه (مَلاحِمُ.. وأزهارٌ) سِجلّ حافل بمختلف المقاصد والأغراض، فمن شعر النّضال والجهاد إلى شعر الفخر والتّغنّي بالمجد التّليد، إلى وصف الطّبيعة ورسم الظّلال، ومن شعر الغَزَل ووصف مختلف النّوازع إلى الرِّثاء وبكاء الأحباب...

*

وما أنْسَ لا أنْسَ يوماً من أيّام عام ١٩٤١، وقفتُ فيه في (بغداد) مع فِتْيَة أعَدُّوا أنفسهم للاشتراك في (حرب التّحرير العراقيّة)، نستمع إلى (الشّاعر الأثريّ) يخاطب (العِراق)، بصوت حمله الأثير إلى سمع الملايين في مختلف أرجاء الوطن العربيّ، قائلاً من قصيدة طويلة[1]:

غَمَزُوا إباءَكَ، فاضطَرْمتَ أباءَا

وحَشَدْتَ جَوَّكَ، والثَّرَى، والماءَا[1]

رامَوْكَ لِلذُّلِ المُقِيمِ، وقد مضى

دهرٌ تُسامُ به الشُّعُوبُ سِباءَا!

ثمّ عَرَّضَ الشّاعر بِـ (الإنكليز)، الّذين غُلِبُوا على أعصابهم بسبب من هزائم جيوشهم أمام الجيوش الألمانيّة، فقال:

يا وَيْحَهُمْ! غُلِبُوا على أعصابِهِمْ

فتحَرَّشُوا بكَ سَكرةً وغَباءا

ثمّ أشار إلى (الجيش العراقيّ)، وإلى (الجماهير) الّتي تدفّقت لتحيّته، قائلاً:

أنْظُرْ إلى الأبطالِ كيفَ تَواثَبَتْ

وإلى الثّنايا كَيْفَ لُحْنَ وِضاءَا

وإلى الحميَّة كيفَ أجَّ لَهِيبُها

وسَرَتْ كألْسِنَة اللّظَى حمراءَا

وإلى الجموعِ الهاتفاتِ.. كأنّها

تستقبلُ الأعْراسَ والنَّعْماءَا

وختم الشّاعر قصيدته قائلاً:

---

(١) القصيدة في ٤٦ بيتاً، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٨٤ من الديوان.

(١) الأباء (الثانية): بفتح أولها: القصب، وهو سريع الاحتراق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يا ســـاعةَ التّحريـــر! عُرْسُـــكِ قـــد أنى[1]

إنَّ البَشـــــائِرَ لُـــحْـــــــنَ والبُشَـــــراءَا

سَـــــقْياً ليومِـــــكِ في الزَّمـــــانِ، فإنَّـــــهُ

عـــــن ليلـــــةِ القَـــــدْرِ الرَّجيَّـــــةِ ضـــــاءَا

وخرجت (بغدادُ) يومئذٍ عن بَكْرَة أبيها تُلبّي نداء الجهاد، حتّى إذا ما جرت الرِّياح بغيرِ مـــا تشـــتهي السُّفُنُ، كان (الشّاعر الأثريّ) في جُملة من اعتُقِل، وحُمِلَ إلى المنفى، جزاءَ ما جرى على لسانه من دعوة إلى استخلاص حقّ مهدور، وثورة على باطل قائم.

ولم يستكنِ الشّاعرُ الحُرُّ ولم يَهِنْ، بل رَحَّبَ بالنَّفْي، وأخذ يهتِفُ من أعماق سجنه في (ألفاو)[2] للحريّة الّتي يَنْشُدُها قومه بروائع من الشّعر الخالد. وفي قصيدة منها يقول[3]:

مُبْلِغِـــــي نَفْيـــــي إلى (ألفـــــاو) الشَّـــــطِيرِ

مَرْحبَـــــاً بـــــالنَّفْيِ والسِّـــــجْنِ الضَّـــــريرِ[4]

مَطْمَـــــحُ الثَّـــــائِرِ آفـــــاقُ السَّـــــما

وكـــــذا مَطْمَـــــحُ رُوّادِ النُّسُـــــورِ

أتَـــــراهُ، إنْ هَـــــوَى، يُضْـــــرِعُهُ

نَبَـــــأُ السِّـــــجْنِ وإيغـــــالِ المســـــيرِ؟

ثمَّ يشير الشّاعر إلى ما صنعه، فكان جزاؤه النَّفْي، معتزّاً بما قدّم، شامخاً بأنفه، لصدقه وإبائه، قائلاً:

كـــــان شِـــــعْرِي في مَآسِـــــي أمَّتِـــــي

عـــــن أمـــــانِيَّ رَسُـــــولِي وسَـــــفِيرِي

بـــــينَ أيْـــــدِيها تَغَنَّـــــى، وغَـــــدا

بَلْسَـــــمَ الجَرْحَـــــى ومَسْـــــلاةَ الصُّـــــدُورِ

صـــــادِحٌ.. تُـــــذْكي أغانيـــــهِ المُنَـــــى،

---

(١) أنى: حان وقته.

(٢) ألفاو: بلدة في أقصى الجنوب من العراق.

(٣) القصيدة تبلغ ٣٥ بيتاً وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٣ من الديوان.

(٤) وصف للسجن الذي سدت نوافذه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو تُـــثيرُ الشَّـــوْقَ في القلـــبِ الكســـيرِ

صَـــــدَقَ الأمَّـــــةَ، إذْ غَنَّـــــى لهـــــا

رائِـــــدُ الأمّـــــةِ ذو صِـــــدْقٍ وخـــــيرِ

لم يَـــــزِغْ عنـــــها، ولم يَكـــــذِبْ، ولا

ســـــارَ في موكـــــب مُثْـــــرٍ أو أمِـــــيرِ

ثم يصيح الشّاعر بسَجّانيْهِ متوعّداً:

لا أرَى ثورتَنـــــــا أبعـــــــدَ مـــــــن

قـــــاب قَوْسَـــــيْنِ، وتَـــــأتِي بـــــالثُّبُورِ!

وفي قصيدة أخرى هَتَف للعزّة الوطنّية من أعماق السِّجْن، فقال[1]:

ألا في ســـــبيل الله والـــــوطن الغـــــالي

بِعـــادِيَ عـــن داري وعِرْســـي وأطفـــالي

عصـــافيرُ.. لا ســـاعٍ يـــروحُ علـــيهِمُ

سِـــــوايَ، ولا راعٍ يحـــــوطُ، ولا والِي

ثُمَّ يستدرك الشّاعر قائلاً:

ولكِـــــنَّ أوطانـــــاً، نَعِمْـــــتُ بخيرِهـــــا،

ســـأوثِرُها دومـــاً علـــى الـــنَّفْسِ والآلِ

إذا وَرَّث الآبـــــاءُ أبنـــــاءَهم غِـــــنًى

فـــإنِّيَ قـــد أغنيـــتُ بالمجـــدِ أنْســـالِي

*

وإذا كان (شعر الأثريّ) يمتاز بجزالة اللفظ ومتانة الصيّاغة، فإنَّ من أهمّ ميزاته «الغنائيّة» فيه، فهو مطبوع بها وبجمال الصُّوَر، وببراعة انتقاء الألفاظ مع عذوبة جَرْسِـها، وكيـف لا تكـون

(١) تبلغ أبيات هذه القصيدة الثمانين، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٧ من الديوان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«الغنائيّة» طابعاً لشعر الأثريّ، وهو القائل في أحلكِ ليالي محنته من قصيدة، عُنْوانُها «سأغَنّي.. وأغَنِّي»[1]:

كيفَ تُعطِيكَ أمانِيَّكَ مِن صَفْوٍ وأمْنِ،
دولةٌ ضَاقَتْ بفردٍ واتّقَتْهُ بِمِجَنّ؟
أحَرامٌ أنْ يَطيرَ الطَّيْرُ مِن غُصْنٍ لغُصْنِ؟
عَجَباً.. والرَّوْضُ روضي زاهياً، والوَكْنُ وَكْنِي!
كيف لا تأخُذُ في أوْطانِيَ النَّشْوَةُ مِنّي؟
أنا للحُرّيّة - الدَّهْرَ - أغَنِّي ما أغَنّي
ما لهم قد نَقَمُوا مِنّيَ تغريدِي ولَحني؟
وابتغوا ذُلّي وإسْكاتِي بنَفْيِي وبِسَجْني
سَأغَنِّي.. كلّما يُنْكَأ جُرْحِي، وأغَنِّي
وَيْحَهُمْ! لم يَشْرَبُوا كَأسي، ولا طافُوا بدَنِّي
ليس بالحُرّ الّذي يَجْزَعُ، أو يبكي لِغَبْنِ!

*

والشّاعر في ديوانه واضح الاتّجاه في الدعوة إلى التّمَسُّك بمبادئ الإسلام، شديد الاعتزاز بقومه والفخر بعروبته. تراه في الكثير من شعره يتغنّى بمحبّة الأوطان، ويشيد بوحدة الأقطار العربيّة، وهو يستحثّ قومه على النِّضال في سبيل إنقاذ (بيت المقدس) واسترداد (فِلَسْطِين).

ويبرز، في زحمة الأغراض الّتي نظم فيها الشاعر، وَجْهُ (دمشق) مشرقاً متلألئاً، إذْ يترلها من نفسه مترلةً خاصّةً، يتغنّى بمَفاتِنها، ويشيد بأبنائها وقد أصْفَوْهُ الوُدَّ، ومنحوه من حُبّهم وإجلالهم.

أتيحت للشاعر فرصة زيارة (دمشق) للمرة الأولى، وهو في عُنْفُوان شبابه لم يجاوز العشرين إلا قليلاً.. كان ذلك في صيف سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م)، وكان اسم (الأثريّ) قد سبقه إليها بفضل علمه وأدبه، وما قدَّمَهُ به أستاذه علاّمة العِّراق الكبير (محمود شُكْرِي الألُوسيّ) أحد أعضاء (المجمع العلميّ العربيّ) القُدامَى، فلقي الشّاعر الشّابّ من رئيس المجمع ومن أعضائه والشّبابِ من أدباء (دمشق) الُحبَّ والتّقدير.

(١) القصيدة في ٢١ بيتاً، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ١١٤ من الديوان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانت (دمشق) يومئذ حفيّة بأمير الشعراء (أحمد شوقي)، فَهُيّئَ (للأثريّ) أن يكونّ في عِداد المدعوّين إلى حفلات التّكريم، فإذا به يَلْفِت بأدبه وحسن روايته قلبَ أمير الشُّعَراء، فقَرَّبَهُ منه وجعله موضع رعايته، ممّا ترك أعظم الأثر في نفسه، حتّى إذا كانت سنة ١٩٣٢ نُعِيَ (أحمد شوقي)، فجاشتِ الذّكْرَيات في نفس (الأثَرَيّ)، وذكر (دمشقَ) لأول مرّة في شعره المنشور، فقال من قصيدة يرثي بها أمير الشَعراء[1]:

وكُلُّ قَريضٍ غير ما أنتَ قائلٌ
أحِسُّ كأنّي منه في السَّبَراتِ
وما نَقَمُوا إلا غِناءَك بالهُدَى
حثيثاً، وإلا هَدْمَك الشُّبُهاتِ
وبعثَكَ أمجادَ (العُرُوبة) في ثَرَى
(دِمَشْقَ) وفي (الحمراءِ) مؤتلقاتِ
رَزَنْتَ حَصاةً، فاعتدلتَ مقالةً،
وأنصفتَ مجداً جَلَّ عن غَمَزاتِ

ثمَّ ذكر اجتماعه به على ضِفاف (بَرَدَى)، وما خَلَّفه في نفسه من أثر طيّب، فقال:

ألا، لستُ أنسى منك مجلِسَ حكمةٍ
على (بَرَدَى) قد مَرَّ مُذْ سَنَواتِ
أخذْتَ هَوَى نفسي بِبِشْرِك طافحاً
وآنَسْتَني باللُّطْفِ والبَسَماتِ
ومَنَّيْتُ نفسي بعدَهُ بالْتِقاءَةٍ
تُرَوِّي جَناني أو تَبُلُّ لَهاتي
ولكِنْ أبَتْ أيّامُنا غيرَ ما ترى:
فِراقَ صَفِيٍّ، وانطفاءَ حياةِ!

*

(١) القصيدة طويلة في ٧٨ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٢٤٩ من الديوان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي آذار سنة ١٩٣٦ زار وفد (النُّوّاب العراقيّين) مصرَ، فأقام السُّوريّون المقيمون في (القاهرة) حفل تكريم احتفاءً بهم، أنشد الأثريّ[1] فيه قصيدة أشاد فيها (بالوحدة) الّتي كانت الأمل الّذي يدغدغ النُّخْبة من مفكري العرب في مختلف أصقاعهم فيها[1]:

شَـــــهِدَ الله. لم تكـــــن (مصـــــرُ) إلا
بنـــــتَ (عَـــــدْنانَ) دارةً وقَبِـــــيلا
اسْألِ (الضّـــادَ): مـــن رَعاهـــا حُقُوقـــاً؟
واسْألِ (الـــذِّكْرَ): مـــن ســـقاهُ أصـــولا؟
لَمَسَـــــتْ في نِـــــداءِ (بغـــــدادَ) روحـــــاً
يَعْرُبِيّـــــاً، فأوْسَـــــعَتْهُ قَبُـــــولا
تلـــك (بغـــداد) في ذَراهـــا و(نَجْـــدٌ)
وبـــلادُ (الشـــآمِ) عُرْضـــاً وطـــولا
إنَّ مـــا كـــان أمـــسِ حُلْمـــاً، تَجلّـــى
واقِعيّـــــاً، وصَـــــدَّقَ التّـــــأميلا
يَكْـــذِبُ المُرْجِفُـــون.. مـــا ثَـــمَّ إلا
أمّـــةٌ، وُحِّـــدَتْ هَـــوىً وســـبيلا

ومـــــرّ وفْـــــد (النّـــــوّاب العِـــــراقيين)، العائـــــد إلى (بغـــــداد)، بـ (دمشقَ)، وكانت في محنة من المحن التي انتابتها خلال الاحتلال الفِرنسيّ، فوقف الشّاعر في حفل تكريم أقيم للوفد يُنشد الأبيات التالية[1]:

أفَقْنـــا علـــى صـــوتٍ يَـــرُوعُ، مجلجـــلٍ،
فقلنا: (دِمَشْـــقُ الشـــام) في القيـــدِ تـــزأرُ
يَحِـــزُّ بســـاقَيْها الحديـــدُ، ومـــا لَـــهُ
إذا هِيَ لم تغضَبْ على القيـــد ـــ مَكْسِـــرُ

(١) أوفدت الحكومة العراقية الشاعر إلى مصر، ليدرس قوانين الأوقاف ومناهج الأزهر الشريف التعليمية، وسلكته في الوقت نفسه في سلك وفد النواب، ووفد الطلاب، ليكون من ألسنتها في المحافل وفي الصحافة..

(١) القصيدة في ٤٣ بيتاً منشورة بدءاً من الصفحة ١٨٦ من الديوان تحت عنوان «أمة وحدت هوى وسبيلا».

(١) القصيدة في الصفحة ١٩٠ من الديوان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونسب الشّاعر (دمشق) إلى (معاوية بن أبي سُفيْانَ) مؤسّس الدّولة الأمَويِّة في (الشّام)، وتساءل قائلاً:

مُعاوِيَـــةٌ.. لم تعـــرف الـــذُّلَّ ســـاعةً
فكيـــفَ علـــى الـــذُّلِّ المُطـــاوِلِ تَصْـــبِرُ؟
أســـيّدةٌ يســـتامُها العِلْـــجُ مركبـــاً
مـــن الـــذُّلّ؟ هـــذا الحـــادث المُتنكِّـــرُ!

ثم أشار الشاعر إلى (جنّات دِمَشْقَ) ينعم بها المستعمر المحتلّ، وأهلُها بين منفيٍّ ومُشَرّدٍ، فقال:

بنفسِـــيَ مـــن جنّـــاتِ عَـــدْنٍ خمـــائلاً
على بَـــرَدَى مـــن نَعْمـــةَ الحُسْـــن تُزْهِـــرُ
أيطرُقُهـــا مـــن مـــارد الإنْـــس عابـــثٌ
ويغمُرُهـــا مـــن مـــائر النَّقْـــع أكـــدرُ؟
وواغِلُهـــا في كُـــلّ روضٍ مُـــنَعَّمٌ
وآهِلُهـــا في كُـــلّ مَنْفـــىً مغـــوّرْ؟!

وختم الشّاعر قصيدته بحثّ العرب في مختلف أقطارهم على الاتّحاد والتَّمَسُّك بمبادئ الإســـلام، قائلاً:

لَعَمْرُ العُلَى لـــن يبلُـــغَ (العَـــرَبُ) العُلَـــى
وهُـــمْ فِـــرَقٌ شَـــتَّى وشَـــمْلٌ مُـــدَمَّرُ
ألا فاســـلُكُوها (وَحْـــدَةً عربيّـــةً)
لها من (هُـــدَى الإسْـــلامِ) رُوحٌ ومَظْهَـــرُ

*

وليس من عجب في أن نرى الشّاعر، الّذي أحبّ (دِمَشْقَ) وأهلها، وافتتن بطبيعتها وجَمالها، وغَرَّدَ مـــع بلابلها، وغَنّى مع خريرِ مياهها، يسجّل لهذه المدينة صنيعَها، يوَم زحفت لتودّع (ياسين الهاشمي): ابن بغـــداد، وقد ضَنَّتْ حكومتها على ثراها أن يضُمَّ رُفاته، فحنت عليه (دمشق)، وكَرَّمَت (جهاده) في سبيل (العروبة)،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و(الوحدة العربيّة)، وجعلت مثواه في أكرم بقعة منها إلى جانب بطل الإسلام، منقذ القُدْس (صلاح الدِّينِ الأيُّوبيّ)، قال الشّاعر[1]:

باتَ (العِراقُ) على شَجْوٍ يُكابِدُهُ
رَهْنَ السَّلاسلِ، يشكو ليلَ مِحْيارِ
وباتتِ (الشّامُ) في أوْجاعِ مكتئبٍ
يمشي بها الحُزنُ في سهلٍ وأوْعارِ
شجا (بني عبد شمسٍ) أنْ مضى قَمَرٌ
من (هاشم) لم يَخُنْهُ كَسْفُ أنوار
كأنَّ (مروانَ) خلفَ النّعْش من جَزَعٍ
أصيب في مُلكه الغالي بمُنْهارِ
مِنْ حولِه زُمَرُ الأملاكِ في حَشَدٍ
كأنّما هي في تشييع (عَمّارِ)
في موكبٍ يَحْسِرُ الأبصارَ مائِجُهُ
تخالُهُ طافياً في دمعهِ الجاري
كُلُّ البلادِ مناحاتُ وأرْدِيَةٌ
سُودٌ على أبيضِ الأثوابِ مِعْطارِ
ملهوفةٌ، تَتَوافى لِلعَزاءِ بهِ
قَوافِلاً بينَ وُرّادٍ وصدّارِ

*

لئن حُرِمْتَ ثَرَى (بغداد) تَتزِلُهُ
وما كمثلِ ثَراها طِيبَ أبْشارِ
لقد نزلتَ ثرى أهْلٍ ذوي رَحِمٍ،

(١) من قصيدة طويلة عنوانها (ملحمة الانقلاب الشعوبي) أنشدها في احتفال كبير مشهود، أقامَهُ الساسة المخلصون ببغداد في سنة ١٩٣٧، بعد أن دال الحكم الشعوبي الذي دهم العراق في أواخر عام ١٩٣٦، وشاركت فيه - إلى جانب ساسة العراق وخطبائه الوطنيين - وفود رسمية وشعبية من الأقطار العربية، بينها نفر من أعيان الخطباء وكبار الشعراء والقصيدة في ١٢١ بيتاً، وقد نشرت في الديوان بدءاً من الصفحة ٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كَرَفْـــرَفِ (الخُلْـــدِ)، لم يـــدنس بأوْضـــارِ
زاكٍ، ثَـــوَى السُّـــمَحاءُ الطَّـــاهِرون بـــهِ
مـــن كُـــلِّ خَيّـــرٍ قـــومٍ وابْـــنِ أخيـــارِ
من نازليـــهِ (صَـــلاحُ الّـــدينِ).. أيُّ فـــتىً
صـــانَ الحِمَـــى مـــن صَـــليبِيّينَ خُتَّـــارِ
جاوَرْتَـــهُ، فتبـــاهَى أنْ غَـــدَوتَ لـــه
جـــاراً، ويفـــرَحُ مِسْـــعارٌ بمســـعارِ[1]
جارانِ.. فاخَرَتِ (الشّـــامُ) السّـــماءَ بـــأنْ
باتـــا بهـــا قَمَـــرَيْ ســـارِينَ نُظّـــارِ
يُسْـــتَهْدَيانِ إلى سُـــبْلِ العلـــى أبـــداً،
فَيَهْـــدِيانِ، ومـــا هـــادٍ كغَـــرّارِ
يُريـــد لِلخَيِّـــرِينَ الأرْذَلُـــونَ أذىً
ويُكْـــرِمُ الخَيِّـــرِينَ الخـــالقُ البـــاري

وتعَدَّدَتْ زيارات الشّاعر (دمشقَ): يقضي فيها فصل الصّيف، يتمتّع بهوائها العليـل وبمناظرهـا الخلابة، متنقّلاً بين رياضها ومُتَنَزَّهاتها، محاطاً بنُخْبة من أبنائها المقدّرين لفضله وأدبه، حتّى إذا كـان صيف سنة ١٩٣٧ أقام الأستاذ الرَّئِيس (محمّد كُرْد عليّ) حفل تكريم للشّاعر، وكان (المجمع العلمّي العربيّ) قد انتخبه عضواً فيه[1]، وفي هذا الاحتفال أنشد رائعته في (دمشق)[2]:

مَـــنْ عَـــذيرٌ مـــن الهـــوى ومُجِـــيرُ؟
فضَـــحَ الشَّـــوْقُ مـــا أجَـــنَّ الضَّـــمِيرُ
أنـــا في قبضـــة الجمـــال.. فخَـــوْدٌ
تســـتبيني، وروضـــةٌ، وغَـــدِيرُ

وبعد هذا الاستهلال الرّائع الّذي غلب الشّاعر فيه شوقُه إلى (دمشق)، وبواعث حبّه لها، أخـذ يصف مفاتن الطّبيعة فيها والجمال الآسر، قائلاً:

(١) مسعار: شجاع يسعر الحرب دفاعاً عن قومه.
(١) في سنة ١٩٣١.
(٢) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ٣٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هـــذه (جلَّـــقٌ).. تبـــارَكَ رَبّـــي!

بَلَـــدٌ طَيّـــبٌ، ورَبٌّ غَفُـــورُ!

الهـــوى، والهـــواءُ، والجـــدولُ الرَّقْـــ

ـــراقُ، والـــرَّوْضُ، والسَّـــنا، والحُـــورُ

حيثُمـــا تَغْتَـــدِ، فـــروضٌ أرِيـــضٌ

عنـــبريُّ الشَّـــذا، ومـــاءٌ نَمِـــيرُ

وظِـــلالٌ ممـــدودةٌ وَهْـــيَ تَنْـــدَى

وشُـــعاعٌ يَـــرِفُّ وَهْـــو مُـــنِيرُ

من سَنَا الشَّـــمْسِ فَوْقَهـــا ومـــن الزَّهْـــ

ـــرِ.. دَنـــانِيرُ عُسْـــجَدٍ، وعـــبيرُ

ويبدع الشّاعر في وصف جوّ (دمشق) وما تُورثه في نفوس عشاقها، قائلاً:

يُقْتَـــلُ القَـــيْظُ في ذَراهـــا. ولكِـــنْ

في ذَراهـــا يحيـــا الهـــوى ويَسُـــورُ

جِئْـــتُ آوِي مـــن الحَـــرُور إليهـــا

فـــإذا في الحشـــا يَشِـــبُّ الحَـــرُورُ

أنـــا.. منـــها، ومـــن مَهاهـــا اللّـــواتي

يَتَقَـــــتَّلْنَ رِقَّـــــةً، مســـــحورُ

كُـــلُّ بيضـــاءَ في لَـــواحِظَ سُـــودٍ

رَفَّ في خَـــدِّها الـــدَّمُ المُسْـــتَحِيرُ

في قَـــوامٍ لَـــدْنِ المَجَسَّـــةِ رَيَّـــا

نَ، وخَصْـــرٍ مـــن الضَّـــنَى يســـتجيرُ

وصِـــباً ناضِـــرِ الشَّـــبابِ.. غَـــذاهُ

تَـــرَفُ العـــيشِ، والنَّعـــيمُ الـــوَثيرُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأديمٍ مُـــــــــنَعَّمٍ في حَـــــــــبِيرِ

يُـــوهِمُ العَـــيْنَ مـــاؤُهُ والحَـــبِيرُ

لَمَعَـــا.. كالسَّـــراب شَـــفَّ، فلـــم يَـــدْ

رِ: أمـــــــاءٌ لألاؤُهُ أمْ نُـــــــورُ؟

تنفُـــثُ السّـــحْرَ في الخَلـــيِّ، فيَشْـــجَى

وتُـــثِيرُ الهـــوى بـــه، فَيُثُـــورُ

ولقـــد زانَهـــا النُّفُـــورُ، وحُسْـــنُ الـــ

ـــحُسْنِ في الغـــادة العَـــرُوبِ النُّفُـــورُ

كَـــرَّمَ اللهُ وَجْـــهَ كُـــلِّ نَـــوارٍ

صـــانَها الطُّهْـــرُ والحيـــاءُ الوَقُـــورُ

ليَ مـــن هيكـــلِ الجَمـــالِ المعـــاني،

يَجْتَليهـــا قَلْبِـــي، ويَـــذْكُو الشُّـــعُورُ

ويمضي الشّاعر بعد هذا الوصف البديع لما فعله الجمال في نفسه، إلى تحديد (مُتَنَزَّهات دِمَشْقَ) الّتي ملكت عليه لُبَّهُ ، فيقول:

وَطَـــنُ العُـــرْبِ، جَنَّـــةٌ.. و(دِمَشْـــقُ)

رَفْـــرَفٌ أقْـــدَسُ المَطـــافِ طَهُـــورُ

شَـــرِقَتْ بـــالرُّؤا مَســـارِحُها الخُضْـــ

ـــرُ، ورَوَّى نَعِـــيمَهُنَّ السُّـــرُورُ

رُبَّ نـــادٍ، تَخِذْتُـــهُ في الـــرَّوابي

أقـــرأ الحُسْـــنَ منـــه وَهْـــوَ سُـــطُورُ

فعلـــى (الغُـــوطَتَيْنِ) والشَّـــمْسُ تبـــدو

وعلـــى (النَّيْـــرَبَيْنِ) وَهْـــيَ تَغُـــورُ

فـــإذا (جِلَّـــقٌ) رِياضـــاً وُدوراً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كالمصـــــابيحِ حَفَّهـــــا الـــــدَّيْجُورُ

عـــالَمٌ.. مـــن زَبَرْجَـــدٍ، طـــاف بالـــ

ـــــدُّرّ، وأذْكـــاهُ بـــالرُّوَاء النُّـــورُ

ســـاحِرُ المُجْتَلـــيَ.. أطَـــلَ عليـــه

(قاســـيونٌ) كأنَّـــهُ مـــذعورُ!

يَغْـــرَقُ الحِـــسُّ في سَـــناه، ويَفنَـــى

في تَهاوِيـــلِ سِـــحْرِهِ الـــتَّفْكِيرُ

ويصف الشّاعر (ليالي دمشق) بعدئذٍ، فيقول:

انـــا إنْ أنـــسَ لســـتُ أنْسَـــى ليـــاليَّ

إذِ البَـــدْرُ ضـــاحِكٌ والثُّغُـــورُ

وكـــأنّ الأكـــوانَ في دافـــقِ النُّـــو

رِ بُحُـــورٌ قـــد أغرقتـــها بُحُـــورُ

يمـــرَحُ القلـــبُ في سَـــناها كمـــا يَمْـــ

ـــــرَحُ في المـــاء ســـابحاً عُصْـــفُورُ

قـــد تَفَـــرَّدْنَ بالصـــبَّاحةِ، لـــولا

وَجَنـــاتٌ نازَعْنَهـــا ونُحُـــورُ

ثم يخصّ الشّاعر ما حبا الله (دمشق) من (طبيعة فاتنة) بهذه الأبيات:

حَبَّـــذا (الشّـــامُ) ماؤهـــا وهواهـــا

ومسَـــارِي أنهارِهـــا والقُصُـــورُ

وميـــادينُ حُسْـــنِها وَهْـــيَ شَـــتَّى

ومغـــاني اللـــذّاتِ وَهْـــيَ كـــثيرُ

جادَها الغيـــثُ مـــن مَعاهِـــدَ.. لا اللُّطْـــ

ـــــفُ عَـــداها، ولا النَّعِـــيُم الحـــبيرُ

مُحْسَـــنات الأوقـــاتِ، حـــتى ضُـــحاها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَشَّـــــــحَتْهُ بلُطْفِهِـــــــنَّ البُكُـــــــورُ

وبنفســـــي خَريـــرُ (أنهارِهـــا السَّبْـــــــ

ـــــــعَةِ) دَوّامـــــةً عليهـــا الطُّيُـــورُ

تتلَـــوَّى كـــالأيْنِ رِيـــعَ، وتَهْتَـــــــ

ـــــزُّ ارْتِعاشـــاً، وترتمـــي، وتمـــورُ

وَهْـــيَ آنـــاً في السَّـــهْلِ تعـــدو، وآنـــاً

في الـــــرَّوابي المُسَلْسَـــــلاتِ تُغِـــيرُ

تغمُـــرُ (الغُـــوطَتَيْنِ) بِشْـــراً وزَهْـــواً

مثلَمـــا يَغْمُـــرُ النُّفُـــوسَ الحُبُـــورُ

وعلـــى صـــوتها الطُّيُـــورُ تَغَنَّـــى

ولقـــد يُطـــرِبُ الطُّيـــوُرَ الخرِيـــرُ

عَشِـــقَتْ لَحْنَـــهُ، وللمـــاء لحـــنٌ

يُسْـــكِرُ السَّـــمْعَ جَرْسُـــهُ المخمـــورُ

حيـــث تغـــدو يُلْهِيـــكَ منـــها سَـــماعٌ

ومـــن الـــرَّوْض مُؤنِـــقٌ منضـــورُ

عُـــرُسٌ.. قـــام للطَّبيعَـــةِ فيهـــا

يَسْـــتَخِفُّ الإنْســـانَ وَهْـــوَ وَقُـــورُ

تَهْـــزِجُ الطَّيْـــرُ والأنَاسِـــيُّ فيـــه،

ويَمُـــور السَـــنا، ويـــذكو العَـــبِيرُ

وبعد هذا الوصف المترف لجنات دمشق وأنهارها، وغناء طيورها، يقف الشّاعر لحظة، ويقول:

قِـــفْ تَمَتَّـــعْ ممّـــا تَـــراهُ قلـــيلاً،

وقليـــلٌ مِمّـــا تَـــراهُ كـــثيرُ

للأنـــوفِ الشَّـــذا أريجـــاً، وللِسَّمْـــ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ـــــــعِ الأغـــــاني، ولِلّحـــــاظِ البُـــــدورُ!

*

وحين كانت (أعراس الشّام) سنة ١٩٤٧، بعد أن مضى عام كامل على جلاء المستعمر عن ثراهـــا الطّيّب، أحبّ شاعرنا الكبير أن يهنيء (دمشق) في أعيادها، ويشكر لأبنائها حفاوتهم به، فأعدّ خريدتـــه (دِمَشْقُ في ذكرى الجلاء)[1]، وأنشدها في (دار المجمع العلميّ العربيّ):

يا نسمةً خَطَـــرتْ مـــن أرض (جَيْـــرُونِ)

حُيّيـــــتِ عـــــاطرةً، جـــــاءت تُحَيّـــــيني

بَكَـــرْتِ، والفجُـــر في أوْضـــاحِ فاتنـــةٍ

تَبَرّجَـــــتْ لِفَـــــتًى هَيْمـــــانَ مفتـــــونِ

هَـــلْ أنـــتِ للوافـــدِ المشـــتاقِ حاملـــةٌ

مـــن رَوْح أهلِـــكِ أنفـــاسَ الرَّيـــاحينِ؟

اِللـــينُ واللُّطْـــفُ والرَّيّـــا الّـــتي انبعثـــت

رُسْـــلُ الأحبَّـــةِ تلقـــاني وتـــدعوني

(بنـــو أمَيَّـــةَ).. مـــازالوا كمـــا خُلقُـــوا

بنـــــو المكـــــارم والآداب واِللـــــينِ

لاقَيْـــتُ منـــهم كـــلألاء الضُّـــحَى غُـــرَراً

هَشَّـــــتْ إليَّ تُحَيّـــــيني وتُحْيـــــيني

مـــن كُـــلِّ ناصِـــيةٍ زهـــراءَ لامعـــة

كَعْسجَدٍ تحـــتَ وَقْـــدِ الشّـــمْسِ مفتـــونِ

أصـــبحتُ فـــيهم هَـــاداني سَـــراتُهُمُ

كـــأنّني مُصْـــحَفٌ في بيـــت ذي ديـــنِ

أنـــا المُفَضَّـــلُ بـــالنُّعْمَى، ومـــن عَجَـــبٍ

أنْ جـــاء يشـــكُرُني مـــن بـــاتَ يَقْـــرِينَا!

---

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عُــوِّدْتُ كُــلَّ جزيــلٍ مــن فواضــلهمْ
قِــدْماً، وكُــلَّ وِدادٍ غــيرِ مظنــونِ
أنا الشّكُورُ على مــا قــد خُصِصْــتُ بــه
مــن الأيــادي، ومــا شــكري بَمْمُنــونِ
ســيذكُرُ الــدَّهْرُ عنّــي كُــلَّ ســائرة
مــن الثَّنــاء علــيهمْ في الــدَّواوِينِ
قــد أوْسَــعُونيَ إجــلالاً وتَكْرِمــةً
فِجئْــتُ أوسِــعُهُمْ مــدِحي وتلحــيني

ثم غفر الشّاعر للدَّهْر ما لاقاه من صروفه، تكرمةً لدمشق، ذاكراً مقامه في (جبل قاسيون) المطــلّ عليها، واصفاً روعة تلك المناظر، قائلاً:

غَفَــرْتُ للــدَّهْر أيّامــاً.. سَــلَفْنَ لــه
لّمــا أتــانيَ في (الفَيْحــاءِ) يُشْــكِيني
لي في خمائِلــها الخُضْــر الّــتي حَسُــنت
عُلْيــا المَقاصِــير مــن سُــكْنَى الميــامينِ
مــن تحتــها (بَــرَدَى) نَشْــوانُ مُطّــرِدٌ
بــدافقٍ مــن رَحِيــقِ الخُلْــد مضــنونِي[1]
كأنّــهُ، وشُــعاعُ الشَّــمْسِ ضــاحَكَهُ
فِرِنْــدُ ســيفٍ صــقيلِ الوجــهِ مســنونِ
تَنضَّــرَتْ حولَــهْ الــدُّنيا بــه، وزهــت
بزُخْــرُفٍ مــن لبــاس الحســن موضُــونِ
مــا أجْمَــلَ الأيْــكَ في شَــطَّيْهِ حانيــةً
مــن الحفــاوة في أثوابِهــا الغِــينِ!
تلــك المفــاتنُ.. شــاقت كُــلَّ ســاجعةٍ

(١) مضنوني: نسبة إلى «مضنونة»، وهي بئر زمزم في بيت الله الحرام بمكة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَهَيَّجَتْهـــــا بألْحـــــانٍ أفـــــانينِ

أكْـــرِمْ بـــه مُنْبِتـــاً زَهْـــراً، وفاكهـــةً

شَـــتَّى، ومُسْـــدِيَ خَيْـــراتٍ ومـــاعونِ!

ثمّ تساءلَ الشّاعر عن مفاتن (دار النعيم) الّتي لا تخلو منها (دمشق) قائلاً:

أيُّ المفـــاتنِ في دار النَّعـــيم.. خلـــتْ

منـــها (دمشـــق)؟ وأيُّ الرَّبْـــرَبِ العِـــينِ؟

خميلـــةُ الله.. مـــا اهتـــزَّ الثَّـــرى طرَبـــاً

بمثـــل مـــا طـــاف فيهـــا مـــن تـــزايينِ

كُلُّ ضَـــحوكٌ علـــى ضـــاحي مَشـــارِفها

زُهْـــرُ الَّســـماء وأزْهـــارُ البســـاتينِ

كأنَّمـــا الْجَـــوُّ، إذْ يَنْـــدَى بهاعِبقـــاً،

لَطِيمـــةٌ نُشِـــرَتْ مـــن عِطْـــرِ دارِيـــنِ[1]

ثمّ هّنأ الشّاعر دمشق (جلاء الغاصب) عنها، قائلاً:

يـــا دارَ (مـــروانَ).. دام البِشْـــرُ مؤتلقـــاً

علـــى جَبينِـــكِ لَمّـــاحَ الـــتَّلاوِينِ

كَرَّمـــتِ مَجْـــدَكِ أنْ لم تعقِـــدي عَلَمـــاً

إلا علـــى فَـــرْقِ بَـــرٍّ منـــكِ ميمُـــونِ

ســـتذكُرُ الدَّولـــةُ الرَّعْنـــاءُ مُعْتَركـــاً

تَعَـــضُّ مِنـــه يَـــدَيْ نَـــدْمانَ محـــزونِ

خَرَجْتِ منـــه كنَصْـــلِ السَّـــيْف منصـــلتاً

يزهـــو، وبـــاءَتْ بخْـــذلانٍ وتـــوهينِ

يا ليـــتَ عَيْنـــيَ، لمّـــا أجْلِيَـــتْ، شَـــهِدَتْ

بِشْـــرَ الْجِنـــان بـــإجْلاء الشَّـــياطينِ

---

(١) اللطيمة: وعاء المسك. ـ دارين: فرضة «ميناء» بالبحرين، يجلب إليها المسك من الهند.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من كُلِّ أصْـهَبَ.. كـان الكِبْـرُ شـارتَهُ

يرمـي بَنِيـكِ بطَـرْفٍ منـه مسـنونِ

فـنَكّس الله بـالإذلالِ هامَتَـهُ

وعـادَ خَزْيـانَ يمشـي مَشْـيَ موهـونِ!

لا يَرْفَـعُ اللَّحـظَ إلا وَهْـوَ يَخفِضُـهُ

أعجِبْ بلحـظٍ.. بخّـدِ الأرض مقـرونِ!

وأنهى الشّاعر قصيدته مخاطباً (دمشق)، داعياً إيّاها إلى التَّمَسُّك بعروبتها وإسلامها، لتَصُونَ جمالها الّذي يفتديه بنفسه، قائلاً:

يـا حُـرَّةً.. لم تَـدِنْ يومـاً لآسِـرِها

ويـا فَتـاةَ المَطـاعِيمِ المطـاعينِ

إنَّ العُرُوبـةَ والإسْـلامَ. مـا فَتِئـا

هُنـا بِوادِيـكِ في عِـزٍّ وتمكـينِ

في جبهـة الفَلَـكِ الأعلـى مَقامُهمـا

منـه، وفي مَرْبَـأ الشُّـمِّ العَـرانينِ

هُمـا جَناحـاكِ.. مَـدَّ الله ظِلَّهُمـا

علـى البَرِيَّـةِ مـن دُنيـا ومـن دِيـنِ

صُـوني جمالَـكِ في الـدُّنْيا بسِـرِهّما

يَصُنْكِ مـن دَرَكـاتِ الخَسْـفِ والهُـونِ

ما يبتغي (الغـرب) مـن فَيْحـاءَ وارفـةٍ

تعـيشُ في كَنَـفٍ للـدَّهْرِ مـأمونِ؟

شَـمّاءُ.. تَفْـرَعُ هـامَ البَغْـيِ عِزَّتُهـا

بأسـاً، وتَجْبَـهُ عُـدْوانَ المَهـاجِينِ

وَقَتْ (دمشـق) الرَّزايـا رحمـةٌ، بـرأت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(دِمَشْقَ) مـــن نفحـــاتِ اللُّطْـــفِ واللـــينِ

نفســـي فـــداءُ جمـــالٍ.. طالمـــا نَعِمَـــتْ

نفســـي بـــه في ليـــالي عيشـــيَ الجُـــونِ!

ولما وقعت حرب حزيران ١٩٦٧، تفجَّرَ الألَمُ الَّذي استولى على الشاعر قصيدةً طويلةً، ذكر فيها (دمشقَ)، مشيداً بجهادها، مشيراً إلى دخول القائد الفرنسي (غورو) مدفن (صلاح الدّين الأيُّـــوبيَّ) ومخاطبته الضَّريح قائلاً: «نحن حَفَدَةُ الصَّلِيبيّين هنا يا صلاح الّدِين».

قال الشّاعر[1]:

وأينَ في (الشـــام) «غـــورو» في جَحافِلـــهِ

يُغيـــرُ وَهْـــوَ يَـــدُكُّ الَّسِـــلْمَ تـــذليلا؟

بل أين في (القدس) «أللـــنبي» وقـــدرَعَبَتْ

رُعُـــودُهُ جَنَبـــاتِ «القُـــدْس» تـــوهيلا[1]

نَشْوانُ مـــن صَـــلَفٍ، مَـــلآنُ مـــن حَنَـــقٍ

يجُـــرُّ ســـيفاً علـــى الغَبْـــراءِ مصـــقولا

يـــا شـــاهِرَ السَّـــيْفِ مَزْهُـــوّاً بباطِلِـــه

وعـــارضَ الجـــيشِ بعـــدَ الجـــيشِ تحفـــيلا

خَلِّ الغُـــرورَ. فـــإنَّ الحَـــقَّ مـــا بَرِحَـــتْ

شَـــباهُ تَرْجِـــعُ حَـــدَّ الَّســـيْفِ مفلـــولا

قضى له الله بـــالعُقْبى.. إذا صَـــحِبَ الـــ

إيمـــانَ والصَّـــبْرَ، وَعْـــداً منـــه مكفـــولا

يَرْمـــي بـــه بـــاطلاً منـــه فَيَدْمَغُـــهُ

يـــا.. طالمـــا دَمَـــغَ الحَـــقُّ الأبـــاطيلا

(١) من قصيدة طويلة جاوزت ١٥٠ بيتاً، عنوانها: «حرب حزيران ١٩٦٧» ، وهي منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ٢٣١ (ديوان الأثري ج ١).

(١) أللنبي: قائد الجيش الانكليزي الذي فتح القدس في الحرب العالمية الأولى، وقد قال في معرض الفخر: «اليوم انتهت الحروب الصليبية».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنّ الحُـــرُوبَ سِـــجالٌ بَيْنَنـــا أبَـــداً

كَأنَّهـــا الـــدَّيْنُ في الّـــلأواءِ ممطـــولا

إنْ لم تكونـــوا لنـــا سِـــلَمْاً، نكـــن لكُـــمُ

حَرْبـــاَ.. تبـــادرُكم بـــالموت تعجـــيلا

إنَّـــا ســـنُلْحِقُ بالماضِـــين حاضِـــرَكُمْ

مِمَّـــنْ يَجِـــيءُ حَنِيـــقَ الصَّـــدْرِ مثكـــولا

لَنَصْـــبِرَنَّ، كآبـــاءٍ لنـــا صَـــبَرُوا

صَـــبْراً.. يُعيـــدُ سَـــوادَ الليـــل تحجـــيلا

نحـــن الجـــواهِرُ.. مـــا هانـــت معادِنُنـــا

علـــى الزَّمـــانِ كُمـــاةً أو مَعـــازِيلا

هذا هو الشّاعر البغدادّي الكبير، الّذي مَحَضَ (دمشق) الخالدة الحُبَّ كُلّه، وهذه هي (دمشـــق) بجمالها ومفاتنها تَزينها غِلالة من حبّ الشاعر وإعجابه.

*

إنّ (شعر الأثريّ) نموذج حديث للشّعر الأصيل في ألفاظه المنتقاة، ولغته المشرقة، وأسلوبه القويم، وجَرْسه المطرب. وشعره في (دمشق) خير دليل على ما حبا الله الشاعر من رَهافـــة الحـــسّ، ورِقّـــة الشُّعُور، وتذوُّق للجمال، ودليل ناصع على ما يملكه الشّاعر من أدوات استطاع معها الإبـــداع في وصف الجمال وتصوير ما يفعله في نفوس المحبين.

حفظ الله (شاعرنا الكبير) ذُخْراً للضّاد أمّ اللُّغَى.

وحفظ الله (دِمَشْقَ) مصدراً للحُبّ والإلْهام.

د. عدنان الخطيب
نائب رئيس مجمع اللغة العربية/ دمشق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الثوَّرة السُّورِيَّة

«من بواكير الشاعر (سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م) يمجد بها ثورة الشام على الاحتلال الفرنسي، وقد شهد أول نشوبها، وهو في دمشق، وتقطعت طريق الصحراء السالكة إلى العراق، فسيرت قافلته على طريق حمص ـ تدمر، بحراسة السيارات المسلحة إلى أن أسلمتها إلى (كبيسة) في شمال العراق».

(دِمَشْقُ)! حَمَاكِ (اللهُ). ما الحادِثُ الْكُبْرُ؟
سَلِمْتِ. وفِيمَ الْبَغْيُ رِبْعَكِ والغَدْرُ؟
أَحَقٌّ. أَحادِيثٌ تَحُوبُ مُرِنَّةً
يَلُوكُ بِها كَذِبٌ يَفِحُ لَهُ الصَّدْرُ؟
لَئِنْ زَلَّتْ فِيكِ الْخُطُوبُ دَوَامِياً
لَقَدْ رَحَلَتْ عَنِّي الْمَنَاعَةُ والبِشْرُ

*

دَعِي عَنْكِ تَطْرِيبِي، أُمَيْمَةُ جانِباً
وبَكِّي مَعِي أَهْلاً طَمَاهُمُ الْغَمْرُ
هُمُ قَدَّسُوا أُمَّ الحَياةِ وآثَرُوا
عَلَى العَيْشِ مَرْتاً طَعْمُهُ أَبَداً مُرُّ
ومَنْ كانَ (قَحْطانٌ) أَبَاهُ فإِنَّهُ
«لَهُ الصَّدْرُ دُونَ العالَمِينَ أَوِ القَبْرُ»
سَلامٌ عَلَى تِلْكَ الشَّمائِلِ! إِنَّها
عَبِيرٌ.. نَمَى فِي الخافِقَيْنِ لَهُ نَشْرُ[1]
فَمَنْ مُبْلِغٌ عُصْبَ الخَوَانِ أَنَّهُمْ

(١) النشر: الريح الطيبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على سَفَرٍ لا يَسْتَتِبُّ لهم أَمْرُ[1]

وأنَّ (بني قَحْطانَ) سادَتْ نُفُوسَهُمْ

ومَوْطِنُهُمْ حُرٌّ، ومُلْكُهُمُ حُرُّ

هو (المَجْدُ).. أمَّا بَيْتُهُ فمُعَزَّزٌ

وأمَّا حُمَاةُ البيتِ فـ(العَرَبُ الغُرُّ)

لَحَا (اللهُ) قومًا يبغضونَ لِمِلَّكَهُ

وكُونَ نَوَاةً منهُمُ عَنْكَرٌ مَجْرُ[2]

إذا نَهَدُوا للحربِ رِيعَ فُحولُهُ وأَبْرَتْ

جُمُوعُ الفِلافِلاً، ومِنْهُمْ بِهِمْ ذُعْرُ[1]

فكيفَ بقومٍ.. إنْ يُفَقِّعْ لِكَبْشِهِمْ

يَطِرْ ولهُ مِنْ جَنْبِهِ أَحْلَسٌ عَثْرُ[2]

فلو أنَّهُمْ أَبْطالُ يومٍ كَرِيهَةٍ

لَما انهزَمُوا عندَ النِّزالِ وهُمْ كُثْرُ[3]

ولا ثَأَرُوا مِنْ أَنْفُسٍ مُطْمَئِنَّةٍ

وما كانَ عندَ الآمِنِينَ لَهُمْ ثَأْرُ

ولا رَوَّعُوا الغِيدَ الأوانِسَ كالدُّمَى

وما كانَ مِمَّا عِنْدَهُنَّ لهم وِتْرُ[4]

ولا خَوَّفُوا الأطفالَ كالوَهْمِ في الرُّبا

وما كانَ للأطفالِ عندَهُمُ وِزْرُ[5]

---

(١) الصهب: جمع الأصهب، وهو من خالط بياض شعره حمرة. ـ العثانين: جمع العثون، وهو اللحية، والأعداء صهب العثانين أو السبال، وإن لم يكونوا كذلك. ـ استتب لهم الأمر: استقام واستمر.

(٢) المجر: الجيش العظيم.

(١) نهد للحرب: صمد لها. ـ الفل: المنهزمون.

(٢) الكبش: سيد القوم، وقائدهم.

(٣) الكريهة: الحرب، أو الشدة في الحرب، أو النازلة. ـ النزال: أن ينزل الفريقان.. فيتضاربوا.

(٤) الغيد: جمع الغيداء، وهي المتثنية ليناً. ـ الأوانس: جمع الآنسة، وهي الطيبة النفس. ـ الوتر: الدِّحْلُ، أي الظلم، ورجل ذاحل: جائر.

(٥) الوزر: الإثم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا حرَّقُوا البُلْدانَ وهْيَ عَمِيرَةٌ
وأهلُها تَحْيى، وحِنَّتُها خُضْرُ،
تَرَقْرَقَ ماءُ الحُسْنِ في جَنَباتِها
ولاحَ هَتُورُ الطَّيعةِ يَفْتَرُ[1].

*

ألا... سَفِهَتْ تلك الحُلُومُ بما جَنَتْ،
وليس، لَعَمري، للَّذِي قد جَنَتْ حَصْرُ
إذا .. أجْمَلَ البَرْقُ الخَفُوقُ حَدِيثَها،
فِلي من وراءِ الغيبِ في شَرْحِهِ خُبْرُ[2]
فوالَهْفَ نَفْسِي، يا (دِمَشْقُ)! وما عَسَى
يَرُدُّ عليكِ اللَّهْفُ، والدَّمْعُ، والزَّفْرُ؟
فصَبْراً على البَلْوَى (دِمَشْقُ)، وإن طَمَتْ
فبعدَ اشْتِدادِ العُسْرِ ينكشفُ العُسْرُ
على أنَّ في البَلْوَى حياةً جديدةً
وإنَّ من الظَّلْماءِ ينبثقُ الفَجْرُ
فإنْ قُتِلَ الأحرارُ فِيكِ، فإنَّما
لِيُنْشَرَ بَيْنَ العالَمِينَ لَهُمْ ذِكْرُ
وإنْ دُمِّرَت فيكِ القُصُور، فإنِّما
لِيُرْفَعَ لاسْتِقْلالِ أصْحابِها قَصْرُ
هُوَ السَّيْفُ، فَلْيُسْلَلْ، فإنَّ بِحَدِّهِ
لَيُسْتَأصَلُ العادِي، ويَنْحَسِمُ الشَّرُّ
وما صُنِعَ الصَّمْصامُ إلاَّ لِجائِرٍ

(١) يفترُّ: يضحك ضحكاً حسناً.
(٢) الخبر: العلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على الحَــقّ، لا يَلْوِيــهِ نَهْــيٌ ولا زَجْــرُ[1]

ومَـــنْ طَلَـــبَ اسْـــتِقْلالَهُ بلِســـانِهِ

كمَنْ خَطَبَ الحســنا ومــا عنــدَهُ مَهْــرُ

*

(١) الصمصام: السيف لا ينثني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حمى العروبة

«من بواكير الشاعر أيضاً.. من قصيدة حيا بها زعماء الثورة السورية، الذين وفدوا على بغداد طالبين النصرة، وقد أنشدها في حفلة فخمة أقيمت لتكريمهم».

حِمَى (العُرُوَبةِ) جِسْمٌ، قلبُهُ (الشّامُ)
و(الوَفْدُ) سَوْداؤُهُ، و(العُرْبُ) أرْحامُ[1]
إذا تَألَّمَ عُضْوٌ منه، شارَكَهُ
باقِيهِ، وانْتابَهُ ضُرٌّ وآلامُ[2]
رِيعَتْ (دِمَشْقُ)، فضَجَّتْ (مِصْرُ)، واضْطَرَبَتْ
(بغدادُ)، واكْتَأبَتْ في (الرِّيفِ) أقْوامُ
يَعْيا المُعادُونَ عن تمزيقِ وَحْدَتِنا
ما دامَ يَجْمَعُنا جِذْمٌ وإسْلامُ[3]

*

أعْظِمْ بِهِ وَفْدَ ثُوّارٍ سما وسَمَوْا
شَأناً، ورَفَّتْ لهُمْ بِالعِزِّ أعْلامُ!
لقد تَعالَى على الأحْداثِ.. جَمَّلَهُ
حَزْمٌ، وعَزْمٌ، وإيمانٌ، وإقْدامُ
الهَوْلَ يَقْحَمُهُ، والصَّعْبَ يجشَمُهُ
وقلبُهُ ضَرِمُ النِّيرانِ عَزّامُ
آلَى بأنْ لا يَحُطَّ الرَّحْلَ في بَلَدٍ

(١) السويداء، من القلب: حبته.
(٢) انتابه: أتاه مرة بعد أخرى.
(٣) الجذم: الأصل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما لم تَفُــزْ بالَّــذِي ثــارَتْ لَــهُ (الشّــامُ)

طَوْراً بــأعْلَى (دِمَشْــقِ) الشّــامِ مُحْتَــرِبٌ

وتــــارةً في رِمــــالِ البِيــــدِ عَــــوّامُ

جــــابَ المَفــــاوِزَ والأهْــــوالُ مُحْدِقَــــةٌ

وخــــاضَ في اللُّــــجِّ والآذِيُّ آكــــامُ[1]

في (الله) غــــازٍ، ولِلأوْطــــانِ مُغْتَــــرِبٌ

ولِلْعُرُوبــــــةِ والإسْــــــلامِ جَشّــــــامُ

آمنــــتُ بالِهمّــــةِ الشَّــــمّاءِ، تَدْفَعُــــهُ

إلى رِغــــابِ المعــــالي وَهْــــوَ بَسّــــامُ

وهكــــذا هكــــذا مَــــنْ يَبْتَنِــــي شَــــرَفاً

وهكــــذا هكــــذا الأحْــــرارُ والهــــامُ[1]

*

(١) جــاب: قطــع. ـ المفــاوز: جمــع المفــازة، وهــي المهلكــة، و ـ الفــلاة لا مــاء بهــا. ـ الآذي: الموج. ـ الآكام: التلال، على التشبيه.

(١) الهام: الرؤوس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في القَيْدِ تَزْأرُ

«أنشدها الشاعر في دار السياسي العربي (فخري) البارودي) في احتفاله بوفد (النواب العراقيين) عند حلولهم بـ (دمشق) في غرة المحرم ١٣٣٥هـ ـ ٤ نيسان ١٩٣٦م، وذلك في أعقاب إضراب عام بـ (دمشق) دام أربعين يوماً، ثورة على الحكم الفرنسي».

أَفَقْنا على صَوْتٍ يَرُوعُ، مُجَلْجِلٍ
فقُلْنا: (دِمَشْقُ الشّامِ) في القَيْدِ تَزْأرُ
يَحِزُّ بِساقَيْها الحَدِيدُ، ومالَهُ
إذا هِيَ لم تَغْضَبْ على القَيْدِ، مَكْسِرُ[1]
مُعاوِيَّةٌ.. لم تَعْرِفِ الذُّلَّ ساعَةً
فكيفَ على الذُّلِّ المُطاوِلِ تَصْبِرُ؟[2]
أسَيِّدَةٌ يَسْتامُها العِلْجُ مَرْكَباً
من الذُّلِّ؟ هذا الحادِثُ المُتَنكِّرُ![3]

*

بِنَفْسِيَ من (جَنّاتِ عَدْنٍ) خَمائِلاً
على (بَرَدَى) من نَعْمَةِ الحُسْنِ تُزْهِرُ[1]
أَيَطْرُقُها من مارِدِ الإنْسِ عابِثٌ
ويغمُرُها من مائِرِ النَّقْعِ أكْدَرُ؟[2]
وواغِلُها في كُلِّ روْضٍ مُنَعَّمٍ،
وآهِلُها في كُلِّ مَنْفىً مُغَوِّرُ؟[3]

---

(١) يحز بساقيها الحديد: يؤثر فيهما .. المكسر: موضع الكسر.

(٢) معاوية: نسبة إلى معاوية بن أبي سفيان، صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد كتّاب الوحي، ومؤسس الدولة الأموية في الشام.

(٣) يستامها: يريدها على ما تكره. ـ العلج: الرجل من كفار العجم.

(١) بردى: نهر دمشق. ـ النعمة، بفتح النون: الرفاعة، وطيب العيش.

(٢) المائر: المائج. ـ النقع: الغبار الساطع المنتشر.

(٣) الواغل: الغازي المستعمر، وأصله الداخل على القوم في طعامهم أو شرابهم غير مدعوٍّ إليه. المغوِّرُ: الذاهب إلى الأغوار البعيدة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لعَمْرُ العُلَى! لَنْ يبلُــغَ (العَــربُ) العُلــىَ،

وهُـــمْ فِـــرَقٌ شَـــتَّى وشَـــمْلٌ مُـــدَمَّرُ

ألا، فاسْـــــلُكُوها (وَحْـــــدَةً عَرَبيّـــــةً)

لها من (هُــدَى الإسِــلامِ) رُوحٌ ومَظْهَــرُ

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دِمَشْقُ... في ذكرى جَلاءِ فِرَنْسَةَ

«أنشدها الشاعر في (دار المجمع العلمي العربي) بدمشق، في ١٩٤٧/٩/١٦، وقد جلا منها الفرنسيون المستعمرون».

يا نَسْمَةً خَطَرَتْ من أرْضِ (جَيْرُونِ)
حُيِّيتِ عاطِرَةً، جاءَتْ تُحَيِّينِي[١]

بَكَرْتِ، والفَجْرُ في أوْضاحِ فاتِنَةٍ
تَبَرَّجَتْ لِفَتىً هَيْمانَ مَفْتُونِ،[٢]

هَلْ أنْتِ لِلْوافِدِ المُشْتاقِ حامِلَةٌ
من رَوْحِ أهْلِكِ أنْفاسَ الرَّياحِينِ[٣]

اللِّينُ واللُّطْفُ والرَّيّا الّتي انبَعَثَتْ
رُسْلُ الأحِبَّةِ تَلْقانِي وتَدْعُونِي[٤]

(بنو أمَيَّةَ).. ما زالُوا كما خُلِقُوا،
بَنُو المكارِمِ والآدابِ والِلِّينِ

لاقَيْتُ منهم كالأَلاءِ الضُّحَى غُرَراً
هَشَّتْ إليَّ تُحَيِّينِي وتُحْيِينِي[١]

مِنْ كُلِّ ناصِيَةٍ زَهْراءَ لامِعَةٍ
كَمَعْبَدٍ تَحْتَ وَقْدِ الشَّمْسِ مَفْتُونِ[٢]

أصْبَحْتُ فِيهِمْ تَهادِانِي سَراتُهُمُ

---

(١) جيرون: دمشق الفيحاء

(٢) الأوضاح: الغرر، والأضواء.. الهيمان: المحب الشديد الوجد.

(٣) الروح، بفتح الراء: نسم الريح.

(٤) الريا: الرائحة الطيبة.

(١) الغرر: الوجوه البيض المشرقة.

(٢) عسجد مفتون: ذهب مصهور مصفى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كـــأنَّني مُصْـــحَفٌ في بيـــتِ ذي ديـــنِ[1]

أنـــا المُفَضَّـــلُ بـــالنَّعْمَى، ومِـــنْ عَجَـــبٍ

أنْ جاءَ يشكُرُني مَـــنْ بـــاتَ يَقْـــرِيني![2]

عُـــوِّدْتُ كُـــلَ جَزِيـــلٍ مِـــنْ فَواضِـــلِهِمْ

قِـــدْماً، وكُـــلَّ وِدادٍ غـــيرِ مظنـــونِ[3]

أنا الشَّكُورُ على مـــا قـــد خُصِصْـــتُ بِـــهِ

من الأيَـــادِي، ومـــا شُـــكْرِي بِمَمْنُـــونِ[1]

ســـيذكُرُ الـــدَّهْرُ عَنِّـــي كُـــلَّ ســـائِرَةٍ

مـــن الثَّنـــاءِ علـــيهِمْ في الـــدَّواوِين

قـــد أوْسَـــعُونِيَ إجْـــلالاً وتَكْرِمَـــةً،

فَجِئْـــتُ أوسِـــعُهُمْ مَـــدْحِي وتَلْحِـــيني

غَفَـــرْتُ لِلـــدَّهْرِ أيّامـــاً.. سَـــلَفْنَ لـــه

لَمّـــا أتـــانِيَ في (الفَيْحـــاءِ) يُشْـــكِينِي[2]

لي في خَمائِلِهـــا الخُضْـــرِ الَّتِـــي حَسُـــنَتْ

عُلْيا المَقاصِـــيرِ مِـــنْ سُـــكْنَى المَيَـــامِينِ[3]

مـــن تحتِهـــا (بَـــرَدَى) نَشْـــوانُ مُطَّـــرِدٌ

بدافِقٍ مـــن رَحِيـــقِ (الخُلْـــدِ) مَضْـــنُونِي[4]

---

(١) السراة: الأشراف.

(٢) يقريني: يضيفني.

(٣) مظنون: متهم غير موثوق به.

(١) الممنون: المنقطع.

(٢) يشكيني: يزيل شكواي.

(٣) الميامين: ذوو اليمن والبركة.

(٤) بردى: نهر دمشق. ـ الرحيق: الخالص الصافي من الخمر. ـ مضنوني: نسبة إلى «مضنونة»، وهي بئر زمزم في بيت الله الحرام بمكة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كأنَّـــهُ، وشُـــعاعُ الشَّـــمْسِ ذَهَّبَـــهُ،
فِرِنْدُ سَـــيْفٍ صَـــقِيلِ الوَجْـــهِ مَسْـــنُونِ[1]
تَنَضَّـــرَتْ حَوْلَـــهُ الـــدُّنْيا بـــهِ، وزَهَـــتْ
بِزُخْرُفٍ من لِبـــاسِ الحُسْـــنِ مَوْضُـــونِ[2]
مـــا أجْمَـــلَ الأيْـــكَ في شَـــطَّيْهِ حانِيَـــةً
مـــن الحَفـــاوَةِ في أثْوابِهـــا الغِـــينِ![3]
تلك المَفـــاتِنُ.. شـــاقَتْ كُـــلَّ ســـاجِعَةٍ،
فهَيَّجَتْهـــا بألْحـــانٍ أفـــانِينِ[4]
أكْـــرِمْ بـــه مُنْبِتـــاً زَهْـــراً، وفاكِهـــةً
شَـــتَّى، ومُسْـــدِيَ خَيْـــراتٍ ومـــاعُونِ[5]

*

أيُّ المَفـــاتِنِ في دارِ النَّعِـــيمِ.. خَلَـــتْ
منها (دِمَشْـــقَ)؟ وأيُّ الرَّبْـــرَبِ العِـــينِ؟[1]
خَمِيلَـــةُ (اللهِ).. مـــا اهْتَـــزَّ الثَّـــرَى طَرِبـــاً
بمثـــلِ مـــا طـــافَ فيهـــا مِـــنْ تـــزايِينِ
كُلُّ ضَـــحُوكٌ علـــى ضـــاحِي مَشـــارِفِها
زُهْـــرُ السَّـــماءِ، وأزْهـــارُ البَســـاتِينِ[2]
كأنَمَّـــا الْجُـــوُّ، إذْ يَنْـــدَى بِهـــا عَبِقـــاً،
لِطَيمَـــةٌ نُثِـــرَتْ مِـــنْ عِطْـــرِ (دارِيـــنِ)[1]

---

(١) الفرند: ما يلمح في صفحة السيف من أثر تموج الضوء. ـ المسنون: المصقول.

(٢) الموضون: المنسوج.

(٣) الأيك: الشجر الكثير الملتف. ـ شطاه: جانباه. ـ الغين: الملتفة الأغصان التي نعم ورقها وكثر.

(٤) ألحانٍ أفانين: ذوات فنون من التطريب.

(٥) الماعون: المعروف، واسم جامع لمنافع البيت.

(١) الربرب: الجماعة، لا واحد له. ـ النساء العين: اللواتي اتسعت عيونهن وحسنت.

(٢) المشارف: الأعالي. ـ الضاحي: البارز للشمس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*

يـــا دارَ (مَـــرْوانَ).. دامَ البِشْـــرُ مُؤْتَلِقـــاً

علـــى جَبِينِـــكِ لَمّـــاحَ الـــتَّلاوِينِ[٢]

كَرَّمْتِ مَجْـدَكِ أنْ لَـمْ تَعْقِـدِى عَلَمـاً

إلاَّ علـــى فَـــرْقِ بَـــرٍّ منـــكِ ميمـــونِ[١]

سَـــتذْكُرُ الدَّوْلَـــةُ الرَّعْنـــاءُ مُعْتَرَكـــاً

تَعَـــضُّ منـــهُ يَـــدَيْ نَـــدْمانَ مَحْـــزُونِ

خَرَجْتِ منـــه كنَصْـــلِ السَّـــيْفِ مُنْصَـــلِتاً

يَزْهُـــو، وبـــاءَتْ بخِـــذْلانٍ وتَـــوْهِينِ[٢]

يا لَيْتَ عَيْنِـــيَ، لَمّـــا أجْلِيَـــتْ، شَـــهِدَتْ

بِشْـــرَ الْجِنـــانِ بـــإجلاءَ الشـــيَّاطِينِ!

من كُلِّ أصْـــهَبَ.. كـــانَ الكِبْـــرُ شـــارَتَهُ

يَرْمِـــي بَنِيـــكِ بطَـــرْفٍ منـــهُ مَسْـــنُونِ[٣]

فَـــنكَّسَ (الله) بـــالإذْلالِ هامَتَـــهُ

وعادَ خَزْيـــانَ يمشـــي مَشْـــيَ مَوْهُـــونِ[٤]

لا يَرْفَـــعُ اللَّحْـــظَ إلاَّ وَهْـــوَ يَخْفِضُـــهُ

أعْجِبْ بِلَحْـــظٍ.. بِخَـــدِّ الأرْضِ مَقْـــرُونِ!

---

(١) اللطيمة: وعاء المسك. ـ دارين: ميناء بالبحرين، يجلب إليه المسك من الهند.

(٢) دار مروان: دمشق، عاصمة الدولة الأموية. وهو مروان بن الحكم، أبو عبد الملك بن مروان، تنسب إليه الدولة المروانية، بويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ، بعد اعتزال معاوية بن يزيد بن معاوية، وتوفي سنة ٦٥ هـ وولي بعده ابنه عبد الملك. وكان الخليفة مروان أول من ضرب الدنانير الشامية، وكتب عليها: (قل: هو الله أحد).

(١) الفرق: من الرأس: الفاصل بين صفين من الشعر. ـ البر: البار المحسن الوصول.

(٢) باءت: رجعت.

(٣) أصهب: ذو لون أصفر ضارب إلى شيء من الحمرة والبياض. ـ شارته: هيأته. ـ طرف مسنون: نظر حديد، من أثر الغرور والاستعلاء.

(٤) هامته: رأسه. ـ الموهون: الواهن الضعيف لا بطش عنده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*

يـــا حُـــرّةً.. لم تَـــدِنْ يَوْمـــاً لآسِـــرِها
ويـــا فَتـــاةَ المَطـــاعِيمِ المَطـــاعِينِ

إنَّ (العُرُوبَـــةَ) و(الإسِـــلاْمَ).. مـــا فَتِئـــا
هُنـــا بِواديـــكِ في عِـــزٍّ وتَمكْـــينِ

في جَبْهَـــةِ الفَلَـــكِ الأعَلْـــىَ مَقامُهُمـــا
منـــهُ، وفي مَرْبَـــأِ الشُّـــمِّ العَـــرانِينِ[1]

هُمـــا جَناحـــاكِ.. مَـــدَّ (اللهُ) ظِلَّهُمـــا
علـــى البَرِيَّـــةِ مِـــنْ دُنْيـــاً ومِـــنْ ديـــنِ

صُـــونِي جَمالَـــكِ في الـــدُّنْيا بِسِـــرِّهِما،
يَصُنْكِ من دَرَكـــاتِ الخَسْـــفِ والهُـــونِ[2]

*

ما يبتغي (الغَـــربُ) مـــن فَيْحـــاءَ وارِفَـــةٍ
تعـــيشُ في كَنَـــفٍ للـــدَّهْرِ مَـــأمْوُنِ؟[1]

شَمّـــاءَ.. تَفْـــرَعُ هـــامَ البَغْـــيِ عِزَّتُهـــا
بأســـاً، وتَجْبَـــهُ عُـــدْوانَ المَهـــاجِينِ[2]

وَقَتْ (دِمَشْـــقَ) الرَّزايـــا رحمـــةٌ، بَـــرَأت
(دِمَشْقَ) من نَفَحـــاتِ اللُّطْـــفِ واللِّـــينِ[3]

نفســـي فِـــداءُ جَمـــالٍ.. طالمـــا نَعِمَـــتْ
نَفْسي بِـــه في لَيَـــالِي عَيْشِـــيَ الْجُـــونِ![1]

---

(١) المربأ: الموضع العالي. ـ الشم العرانين: الأباة الآنفون الضيم.

(٢) الخسف: الإذلال، وأن يحملك الإنسان على ما تكره. ـ الهون، بالضم: الخزي.

(١) الكنف: الجانب، والظل.

(٢) تفرع: تعلو. ـ الهام: الرؤوس. ـ تجبه سلطان المهاجين: تضرب جبهته وترده، وتلقاه بما يكره، والمهاجين: اللؤماء.

(٣) برأت: خلقت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* * *

(١) الجون: السود.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دمـــشـــــق

«أنشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه علاَّمة الشام رئـيس المجمـع العلمي العربي الأستاذ محمد كرد علي عنـد حلولـه بدمشـق في آب ١٩٣٧».

مَـــنْ عَـــذيرٌ مِـــنَ الهـــوَى وَمُجـــيرُ؟
فَضَـــحَ الشَّـــوْقُ مـــا أجَـــنَّ الضَّـــمِيرُ[١]

أنـــا في قَبْضَـــةِ الجْمَـــالِ. فَخَـــوْدٌ
تَسْـــتَبِينِي، ورَوْضَـــةٌ، وغَـــدِيرُ[٢]

* * *

هـــاذِهِ جِلَّـــقٌ.. تَبـــارَكَ رَبـــيّ!
«بَلَـــدٌ طَيِّـــبٌ، ورَبٌّ غَفُـــورُ»[٣]

الهَـــوَى، والهَـــواءُ، والجَـــدْوَلُ الرَّقْـــ
ـــراقُ، والـــرَّوْضُ، والسَّـــنا، والحُـــورُ

حَيْثُمـــا تَغْتَـــدِ، فَـــرَوْضٌ أرِيـــضٌ
عَنْبَـــرِيُّ الشَّـــذا، ومـــاءٌ نَمِـــيرُ[١]

وظِـــلالٌ مَمـــدُودَةٌ وَهْـــيَ تَنْـــدَى،
وشُـــعاعٌ يَـــرِفُّ وَهْـــوَ مُـــنِيرُ

مِنْ سَنا الشَّـــمْسِ فَوْقَهـــا، ومِـــنَ الزَّهْـــ
ـــرِ.. دَنـــانِيرُ عَسْـــجَدٍ، وعَـــبِيرُ

---

(١) العذير: العاذر. ـ أجن: أخفى.

(٢) الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق «بفتح الخاء». ـ تستبيني: تأسرني بجمالها.

(٣) جلق: من أسماء دمشق.

(١) أريض: كثير النبت حسن المرأى. ـ ماء نمير: طيب ناجع في الري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُقْتَـــلُ القَـــيْظُ في ذَراهـــا، ولاكِـــنْ
في ذَراهـــا يَحْيَـــا الهَـــوَى ويَسُـــورُ[1]
جِئْـــتُ آوِي مِـــنَ الحَـــرُورِ إليهـــا
فَـــإذا في الحَشـــا يَشِـــبُّ الحَـــرُورُ[2]!
أنـــا.. مِنْهـــا، ومِـــنْ مَهاهـــا اللَّـــوَاتي
يَتَقَـــتَّلْنَ رِقَّـــةً، مَسْـــحُورُ[1]
كُـــلُّ بَيْضـــاءَ في لَـــواحِظَ سُـــودٍ
رَفَّ في خَـــدِّها الـــدَّمُ المُسْـــتَحِيرُ[2]
في قَـــوامٍ لَـــدْنِ المَجَسَّـــةِ رَيّـــا
نَ، وخَصْـــرٍ مِـــنَ الضَّـــنَى يَسْـــتَحِيرُ[3]
وَصِـــباً ناضِـــرِ الشَّـــبابِ.. غَـــذاهُ
تَـــرَفُ العَـــيْشِ، والنَّعِـــيمُ الـــوَثِيرُ
وَأدِيـــمٍ مُـــنَعَّمٍ في حَـــبِيرٍ
يُـــوهِمُ العَـــيْنَ مـــاؤُهُ والحَـــبِيرُ[4]
لَمَعَـــا.. كالسَّـــرابِ شَـــفَّ، فـــلا تَـــدْ
رِي: أمـــاءٌ لألاؤُهُ، أمْ نُـــورُ؟[5]
تَنْفُـــثُ السِّـــحْرَ في الخَلِـــيِّ فيَشْـــجَى،

(١) الذرا، بفتح الذال: الكنف، والظل. ـ يسور: يشب ويثور.
(٢) الحرور: حر الشمس.
(١) يتقتلن: يتثنين في مشيهن، ويتكسرن من الرقة والدلال.
(٢) المستحير: الدائر في الوجنات.
(٣) اللدن: اللين. ـ المجسة: موضع الجس.
(٤) الحبير: الثوب الناعم الموشى.
(٥) السراب: ما يرى في نصف النهار كالماء في الصحارى. ـ شف: رق حتى يرى ما خلفه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتُثِيـــــرُ الهَـــــوَى بِـــــهِ فَيَثُـــــورُ[1]

وَلَقَـــدْ زانَهـــا النُّفُـــورُ، وحُسْـــنُ الـــــ

ـــحُسْنِ في الغـــادَةِ العَـــرُوبِ النُّفُـــورُ![2]

كَـــــرَّمَ (الله) وَجْـــــهَ كُـــــلِّ نَـــــوارٍ

صـــــانَها الطُّهْـــــرُ والحَيَـــــاءُ الوَقُـــــورُ[3]

لِـــيَ مِـــنْ هَيْكَـــلِ الجَمَـــالِ المَعِـــاني،

يَجْتَلِيهـــا قَلْبِـــي ويَـــذْكُو الشُّـــعُورُ

* * *

(وَطَـــنُ العُـــرْبِ)، جَنَّـــةٌ.. و(دِمَشْـــقٌ)

رَفْـــرَفٌ أقْـــدَسُ المَطـــافِ طَهُـــورُ[4]

شَـــرِقَتْ بِـــالرُّؤَى مَســـارِحُها الخُضْـــــ

ـــــرُ، وَرَوَّى نَعِـــيمَهُنَّ السُّـــرُورُ[1]

* * *

رُبَّ نـــــادٍ، تَخِذْتُـــــهُ في الـــــرَّوابي

أقْـــرَأ الحُسْـــنَ مِنْـــهُ وَهْـــوَ سُـــطُورُ

فَعَلَـــى (الغُـــوطَتَيْنِ) والشَّـــمْسُ تَبْـــدُو

---

(١) الخلي: الخالي البال من الهم.

(٢) العروب: المتحببة إلى زوجها، النفور من غيره.

(٣) النوار:النفور من الريبة.

(٤) الرفرف: البساط.

(١) شرقت: امتلأت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَعَلـــى (النَّيْـــرَبَيْنِ) وَهْـــيَ تَغُـــورُ[1]

فـــإذا (جلَّـــقٌ) رِياضـــاً ودُوراً

كالمصـــابيحِ حَفَّهـــا الـــدَّيْجُورُ[2]

عـــالَمٌ مِـــنْ زَبَرْجَـــدٍ، طـــافَ بالـــدُّرْ

رِ، وأذْكـــاهُ بِـــالرُّواءِ النُّـــورُ

سِـــاحرُ المُجْتَلـــيَ.. أطَـــلَّ عَلَيْـــهِ

(قاسِـــيونٌ)، كَأنَّـــهُ مَـــذْعُورُ[1]

يَغْـــرَقُ الحِـــسُّ في سَـــناهُ، وَيَفْنَـــى

في تَهاوِيـــلِ سِـــحْرِهِ الـــتَّفْكِيرُ

* * *

أنـــا إنْ أنْـــسَ لَسْـــتُ أنْسَـــى لَيـــالِيَّ

إذ البَـــدْرُ ضـــاحِكٌ والثُّغُـــورُ

وَكَـــأنَّ الأكْـــوانَ في دافِـــقِ النُّـــو

رِ بُحُـــورٌ قَـــدْ أغْرَقَتْهـــا بُحُـــورُ!

يَمْرَحُ القَلْـــبُ في سَـــناها، كَمـــا يَمْـــ

ـــــرَحُ في المـــاءِ ســـابِحاً عُصْـــفُورُ!

قَـــدْ تَفَـــرَّدْنَ بالصـــبَّاحَةِ، لَـــوْلا

وَجَنـــاتٌ نازَعْنَهـــا وَنُحُـــورُ!

---

(١) الغوطتان: غوطتا دمشق، الغوطة الشرقية والغوطة الغربية. ولا يقال الآن في دمشق إلا «الغوطة». وهي أحدى متنزهات الدنيا الأربعة المشهورة قديماً في الشرق: غوطة دمشق، ونهر الأبلة في البصرة، وصفد سمرقند فيما وراء النهر، وشعب بوان في فارس. و(النيربان): موضعان في صالحية دمشق من أنزه الأماكن، كانت بهما مساكن الرؤساء والأعيان.

(٢) الديجور: الظلمة.

(١) قاسيون: جبل دمشق، يحدُّ الغوطة من شمالها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* * *

حَبَّـــذا (الشّـــامُ) ماؤُهـــا وهَواهـــا
وَمَســـارِي أنْهارِهـــا، والقُصُـــورُ،
ومَيـــادينُ حُسْـــنِها وَهْـــيَ شَـــتَّى،
وَمَغـــانِي اللّـــذات وَهْـــيَ كَـــثِيرُ
جادَها الغَيْـــثُ مِـــنْ مَعاهِـــدَ.. لا اللُّطْـــ
ـــفُ عَـــداها، ولا النَّعِـــيمُ الحَـــبِيرُ[1]
مُحْسَـــناتُ الأوَقْـــاتِ، حَتَّـــى ضُـــحاها
وَشَّـــحَتْهُ بِلُطْفِهِـــنَّ البُكُـــورُ
وبِنَفْسِـــي خَرِيـــرَ (أنْهارِهـــا السَّبْـــ
ـــعَةِ) دَوّامَـــةً عَلَيْهـــا الطُّيُـــورُ[2]
تَتَلَـــوَّى كـــالأيْنِ رِيـــعَ، وتَهْتَـــزْ
زُ ارتِعاشـــاً، وَتْرتَمِـــي، وتَمُـــورُ[3]
وَهْـــيَ آنـــاً في السَّـــهْلِ تَعْـــدُو، وآنـــاً
في الرَّوابِـــي المُسَلْسَـــلاتِ تُغِـــيرُ
تَعْمُـــرُ (الغُـــوطَتَيْنِ) بِشْـــراً وزَهْـــواً
مِثْلَمـــا يَعْمُـــرُ النُّفُـــوسَ الحُبُـــورُ
وَعَلَـــى صَـــوْتِها الطُّيُـــورُ تَغَنَّـــى
وَلَقَـــدْ يُطْـــرِبُ الطُّيُـــورَ الْخَرِيـــرُ
عَشِـــقَتْ لَحنَـــهُ، وَلِلْمـــاءِ لَحْـــنٌ
يُسْـــكِرُ السَّـــمْعَ جَرْسُـــهُ المَخْمُـــورُ[1]

---

(١) الحبير: الثوب الناعم الموشي.
(٢) دوامة: محلقة في الهواء.
(٣) الأين: الحية.. ـ ريع: أفزع. ـ تمور: تضطرب وتموج.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حَيْــثُ تَغْــدُو، يُلْهيــك مِنْهــا سَــماعٌ

وَمِــنَ الــرَّوْضِ مُؤنِــقٌ مَنْضُــورُ[٢]

عُــرُسٌ.. قــامَ لِلطَّبيعَــةِ فِيهــا

يَسْــتَخِفُّ الإنْســانَ وَهْــوَ وَقُــورُ

تَهْــزِجُ الطَّيْــرُ والأَنَاسِــيُّ فِيــهِ

ويَمــورُ السَــنَّا ويَــذْكُو العَــبِيرُ

* * *

قِــفْ تَمَتَّــعْ مِمّــا تَــراهُ قَلِــيلاً،

وقَلِيــلٌ مِمَّــا تَــراهُ كَــثِيرُ!

لِلأُنُــوفِ الشَّــذا أرِيجــاً، وَلِلسَّمْــ

ــعِ الأغــانِي، وَلِلّحــاظِ البُــدُورُ!

* * *

(١) جرسه: صوته الخفي.

(٢) مؤنق: معجب رائع الحسن. ـ منضور: محسن ومنعم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبِـــــكَ ارْتَـــوَى وَاخْضَـــلَّ وَابْتَـــرَدا

ها ذا الجْمَـــال الغَـــضُّ، يـــا (بَـــرَدَى)؟[1]

شَـــغَفَ الفُـــؤادَ سَـــناً وَأسْـــكَرَهُ،

فَانْســـــابَ في مَـــــرْآهُ واتَّحَـــــدا.

يـــا دِيـــنَ قَلْبِـــيَ، والهَـــوَى قَـــدَرٌ!

قَلْبِـــي أحَـــبَّ، ونـــاظِرِي رَصَـــدا[2]!

هـــذا مَطَـــافُ الحُسْـــنِ، مُقْتَـــرِبٌ

مِنّـــي، وَحِسِّـــي فِيـــهِ قَـــدْ بَعُـــدا!

و(دِمَشْـــــقُ) خَضْـــــراءٌ مُنَـــــوِّرَةٌ

فَيْحـــاءُ، نافِحَـــةُ الشَّـــذا أبَـــدا

نَفَـــسُ العَـــذارَى، مـــا تُناسِـــمُهُ.

أشَـــمَمْتَ أطْيَـــبَ مِنْـــهُ إنْ مَـــأدا؟[1]

وَخَمائِـــلٌ رَيّـــا، انْتَشَـــتْ، وَزَهَـــتْ

بَهَجـــاً، وَرَفَّ نَعيمُهـــا غَيَـــدا[2]

وأطايـــــبٌ، يُعْطِيـــــكَ لَيِّنُهـــــا

نُعْمَـــى الحيـــاةِ هَنيئـــةً رَغَـــدا

---

(١) أخضل: ابتل، وعيش مخضل: ناعم. ـ ابترد الماء: شرب الماء ليبرد كبده، ومنه قول الشاعر:

إذا وجدتُ أوارَ الحبّ في كبدي **أقبلتُ نحوَ سقاءِ القومِ أبتَرِدُ**

الغض: الطري الناضر. ـ بردى: نهر دمشق.

(٢) يادين قلبي من حبها: معناه ياداء قلبي القديم من حبها.

(١) ماد: اهتز.

(٢) البهج: الفرح والسرور. ـ الغيد: لين الأعطاف والتثني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكَأَنَّمـــــا (بَـــــرَدَى) بِسَلْسَـــــلِهِ
عَسَـــلٌ وصَـــهْبَاءُ قـــدِ ابْتَـــرَدا[1]
وَ (الرَّبْوتَـــانِ) ـــ وَإِنَّ حُسْـــنَهُما
ما بـــانَ عَـــنْ عـــيني، وإنْ شَـــرَدا ـــ[2]
بـــابٌ إلى (الفِـــرْدَوْسِ)، تَحْتَهُمـــا
(رِضْـــوانُ) شَـــدَّدَ حَوْلَـــهُ الرَّصَـــدا: [3]

* * *

(الغُوطَتـــانِ) رُؤىً وأخْيِلَـــةٌ
ونَعِـــيمُ دُنْيـــا مِـــنْ سَـــدىً ونَـــدَى[1]
جَمَـــعَ الجَمـــالُ لَـــدَى فَوارِدِهـــا
مـــا كـــان مِـــنْ أنْواعِـــهِ بَـــدَدا
ضَـــحِكَتْ وُجُـــوهُ قُتُونِهـــا، وَبَـــدَتْ
والحُسْـــنُ فَـــوْقَ أديمِهـــا سَـــجَدا
و(النَّيْرَبـــانِ) مَنـــارِةٌ، رَقَصَـــتْ
زَهَـــراً، وَغَنّـــى طَيْرُهـــا غَـــرِدا[2]
اللَّيْـــلُ فِيهـــا: كُلُّـــهُ سَـــحَرٌ

---

(١) السلسل: الماء العذب. ـ الصهباء: الخمر.

(٢) بان: انفصل. ـ الربوة: تقوم على جبل قاسيون في فم وادي دمشق، وهما ربوتان عن يمين وشمال.

(٣) الفردوس: حديقة في الجنة. ـ رضوان: خادم الجنة.

(١) السدى: الشهد، و ـ ندى الليل، وهو حياة الزرع.

(٢) النيربان، والنيرب، تذكر بالصيغتين: قرية مشهورة بدمشق، على نصف فرسخ منها في وسط البساتين، قال ياقوت: هي «أنزه موضع رأيته» ذكرها أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في شعره بلفظ «النيربين» فقال:

سقى الله أرضَ الغوطتين وأهلَها ... فلي بجنوب الغوطتين شجونُ
وما ذكرتُها النفس إلاّ استخفّني ... إلى بردِ ماءِ النيربين حَنينُ
وقد كان شكي للفراق يروعني ... فكيف يكون اليومَ وهو يقينُ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زاهٍ، وسِـــــحْرٌ يَخْلُـــــبُ الكَبِـــــدا

وهُنـــاكَ.. مَـــنْ يَعْشَـــقْ، يَجِـــدْ صُـــوَراً

عَجَبـــاً، تَعـــالَى حُسْـــنُها صَـــعَدا

مـــــا دارَ في خَلَـــــدٍ تَصَـــــوُّرُهُ،

فـــاقَ الخَيَـــالَ، وَجـــازَهُ أمَـــدا!

* * *

ناغَيْـــتُ (جِلَّـــقَ) عاشـــقاً بَلَـــداً

نَزِهـــاً، وناســـاً أشْـــبَهُوا البَلَـــدا!

أسْـــكَنْتُهُمْ ــ لِجَلالِهِـــمْ ــ خَلَـــدِي

حُبّـــاً، كمـــا أسْـــكَنْتُها الخَلَـــدا[1]

وَطَـــنُ السَّـــناءِ، أنـــافَ ســـاكِنُهُ

بِكَـــرِيمَتَيْنِ: عُرُوبَـــةٍ وَهُـــدَى![2]

جُـــذَّتْ يَـــدا مَـــنْ ســـامَهُ ضَـــرَراً

واسْتُؤْصِـــلَ الأرَحْـــامَ والوَلَـــدا[1]

* * *

أ (دِمَشْقُ) يـــا أخْـــتَ الضُّـــحَى وَهَجـــاً

ذَهَبـــاً، ويـــا رِئْـــدَ العُلَـــى صَـــيَدا[2]

أسَـــلِيلَةَ الأحَقْـــابِ، وارِثَـــةً

زَهْـــوَ الحَضِـــارَةِ جَلْـــوَةً وردا[3]

بِنْـــتَ العُرُوبَـــةِ، نَبْـــتَ تُرْبَتِهـــا

---

(١) الخلد: البال، والقلب، والنفس.

(٢) السناء: الرفعة. أناف على الشيء: أشرف.

(١) جُذَّتْ: قطعت.

(٢) الرئد: الترب، وهو من ولد معك. ـ الصيد: رفع الرأس كبراً.

(٣) الردا: مقصور الرداء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعَرِينَهـــــا المُتَأشِّـــــبَ الأسِـــــدا[1]

(غَسّـــانُ).. أثَّـــلَ فِيـــكِ مملكـــةً،

غَنَّـــى لهـــا (حَسّـــانُ) واحْتَشَـــدا[2]

كُبَراؤُهـــا، يَسْـــقُونَ مَـــنْ وَرَدُوا

صَـــفْوَ الرَّحِيـــقِ مُمازِجـــاً (بَـــرَدَى)[3]

وعُـــلاكِ في (الإسْـــلام): كُـــلٌّ عُـــلاً

سَـــجَدَتْ لَـــهُ وتخاوَصَـــتْ حَسَـــدا![1]

مُلْـــكٌ عَـــرِيضٌ.. شَـــدَّ (أنْدَلُســـاً)

بِـــ (السِّـــنْدِ) مُحْتَشِـــداً وَمُتَّحِـــدا

وجَحافِـــلٌ في البَـــرِّ، وازِعَـــةٌ

نَـــزْوَ الغُـــزاةِ وَمَـــنْ بغـــى وَعَـــدا[2]

وسَـــفائِنٌ في البَحْـــرِ، حارِسَـــةٌ

حُـــرَمَ الثُّغُـــورِ، طَوالِـــعٌ مَـــدَدا[3]

أصْـــبَحْتِ بِـــ (الإسْـــلامِ) قاعِـــدَةً

(لِلْمَشْـــرِقَيْنِ)، ومَـــؤْئِلاً فَـــرَدا

كنْـــتِ (الثُّرَيّـــا)، والـــوَرَى احْتَشَـــدُوا

---

(١) المتأشب: الملتف. ـ الأسد: من قولهم أسد الرجل، صار كالأسد في جرأته وأخلاقه.

(٢) غسان: قبيلة عربية مشهورة، أثلت، أي أصلت، في (الشام) مملكة قبل الإسلام، وكان الشعراء يؤمون رؤساءها طلبا لرفدهم، ومنهم (حسان بن ثابت الأنصاريّ)..

(٣) تلميح إلى قصيدة (حسان بن ثابت) في مدحهم، ومنها قوله:

لله در عصـــابة نـــادمتهم يومـاً بـ (جلـق) في الزمـان الأوّلِ

أولاد (جفنـة) حـول قـبر أبـيهم قـبر (ابـن ماريـة) الكـريم المفضِلِ

يسـقون مـن ورد (البـريص) عليهم (بـردى) يصـفق بـالرحيقِ السلسَـلِ

الرحيق: صفوة الخمر، وفي التنزيل قوله تعالى: (من رحيق مختوم)، قال الزجاج: «الرحيق الشراب الذي لا غش فيه». ـ والمختوم: الذي لم يبتذل لأجل ختامه.

(١) التخاوص: أن يغض الإنسان من بصره شيئاً، وهو في ذلك يحدق النظر، كأنه يقوم قدحا «بكسر أوله وسكون ثانيه».

(٢) الجحافل: جمع الجحفل، وهو الجيش الكثير. ـ وازعة: اسم فاعل، من وزعه، إذا كفه، فاتزع هو: كف. ـ والوازع: الزاجر.

(٣) الثغور: جمع الثغر، وهو ما يلي دار الحروب، وموضع المخافة من فروج البلدان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كـــانُوا (الفُـــرُودَ الزُّهْـــرَ) و(السُّـــعُدا)[1]

أعْلَـــــتْ (أمَيَّـــــةُ) فِيـــــكِ رايَتَـــــهُ

شَـــمّاءَ تَحْسِـــرُ نـــاظِراً رَصَـــدا

وَحَوَيْتِـــــهِ، فَحَوَيْـــــتِ جَـــــوْهَرَةً

كالكَوْكَـــبِ الوَهّـــاجِ قَـــدْ وَقَـــدا

يَفْـــرِي الظَّـــلامَ سَـــنَا تَألَقُّـــهِ

ويُحِيـــلُ مِثْـــلَ الصُّـــبْحِ مـــا كَمَـــدا[2]

ويُـــرِي البَصـــائِرَ، إذْ يُجَنّبُهـــا

شَـــرَّ العِثـــارِ، طَرِيقَهـــا الجَـــدَدَا[3]

أطْلَعْتِـــهِ شَمْســـاً علـــى أمَـــمٍ

غَشَّـــى الظَّـــلامُ عُيُونَهـــا رَمَـــدا

عَلَّمْتِهـــا مـــا لَـــيْسَ تَعْلَمُـــهُ

وَحَبَوْتِهـــا الإيمـــانَ والرَّشَـــدا

وَرَئِمْتِهـــا عَطْفـــاً ومَرْحَمَـــةً

رَأْمَ الثَّواكِـــلِ تُرْضِـــعُ الوَلَـــدا[1]

وهَـــدَيْتِ دانِـــيَهُمْ وقاصِـــيَهُمْ

فَسَـــمَوْا مَعـــالِيَ وارْتَقَـــوْا سُـــدَدا[2]

نَعِمُـــوا، وكـــانُوا في ضَـــلالَتِهِمْ

عُمْـــيَ القُلُـــوبِ مَعاشِـــراً بِـــدَدا

---

(١) الفرود: النجوم الفرود، وهي كواكب زاهرة حول (الثريا)، قرأها (المستشرقون) «القرود» بالقاف، فصارت «النجوم القرود» وترجموها كذلك (monkeis) أي القرود. ـ السعد: سعود النجوم، وهي الكواكب التي يقال لكل منها: سعد كذا، وهي عشرة، سعد بلع، وسعد الأخبية، وسعد الذابح، وسعد السعود، وهذه الأربعة ينزل بها القمر، والستة الباقية لا ينزل بها.

(٢) يفري: يشق. ـ يحيل: يحول ويغير. ـ كمد اللون: تغير، وذهب صفاؤه، وبقي أثره.

(٣) الجدد: الأرض المستوية، وفي المثل: «من سلك الجدد أمِنَ العثار»، يريد: من سلك طريق الإجماع، فكنى عنه بالجدد.

(١) رئم الشي: أحبه، ورئمت الأم ولدها: عطفت عليه، ولزمته ـ الثواكل: جمع الثاكلة، وهي من فقدت الحبيب أو الولد.

(٢) السدد: جمع السدة، وهي باب الدار، يقال: غشيت سدة فلان، قال الشاعر:

تـرى الوفـود قيامـاً عنـد سـدته ... يغشـون بـاب مـزور غـير زوّارِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بـــــــادِينَ في تَيْهـــــــاءَ مُظْلِمَـــــــةٍ
في رَذْلِ عـــــيشٍ جـــــاوَزَ الأمَـــــدَا[1]
مَـــــنْ دانَ لِلأصَـــــنْامِ يَعْبُـــــدُها
وَجْهـــاً، وَمَـــنْ لِلنّـــارِ قـــد سَـــجَدا

* * *

تابَعْـــتِ (طَيْبَـــةَ) سُـــنَّةً وهُـــدىً،
والخَيْـــرُ مـــا سَـــنَّتْهُ وامْتَهَـــدا[1]
(أمُّ الخِلافَـــةِ)، أصْـــلُ دَوْحَتِهـــا
طابَـــتْ وطـــابَ بِهـــا الـــوَرَى رَغَـــدا[2]
لَـــوْلا خِلافَتُهـــا وسِـــيرَتُها
مـــا قـــامَ مُلْكُـــكِ بَسْـــطَةً وَيـــدا
مِـــنْ رَحْمَـــةِ (الرَّحْمـــانِ) مـــا نَفَحَـــتْ،
يـــا طِيـــبَ مـــا نَفَحَـــتْ، ومـــا وَفَـــدا!
كَـــرَوائِحِ (الفِـــرْدَوْسِ) ناشِـــرَةً
طِيبـــاً، وعـــابِقَ سَوْسَـــنٍ، ونَـــدَى[3]
تَغْـــدُو علـــى ذاوٍ فَتُنْعِشُـــهُ
وتَـــرُبُّ مـــا ألْـــوَى ومـــا هَمَـــدا[4]
أوْحَـــتْ، فَسَـــطَّرْتِ الهُـــدَى سِـــيَراً

---

(١) بدا القوم بداً: خرجوا إلى البادية، وقوم بداوي وبداوى: بادون. ـ التيهاء: الأرض التي لا يهتدي فيها، وفلاة تيهاء: مضلة يتيه فيها الإنسان . ـ الأمد: الغاية كالمدى.

(١) طيبة: المدينة النبوية المنورة. ـ أمتهد: انبسط وارتفع.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٣) الشبم: البارد. ـ الخضل: الندي المبتل.

(٤) تربُّ: تصلح وتنمي. ـ الوى: ذوي. ـ همد: سكن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وُشِـــيَتْ طِـــرازاً، وازْدَهَـــتْ بُـــرَدا[1]

* * *

(تارِيخُـــكِ المَيْمُـــونُ)، مَخْبَـــرُهُ

أصْـــبَى هَـــوايَ إلِيـــكِ، واعْتَبَـــدا[2]

يَتَـــرَنَّحُ (العَرَبَـــيُّ) قارِئُـــهُ

طَرَبـــاً، وتَسَـــمْوُ نَفْسُـــهُ صُـــعُدا

يُـــوحِي إلى الأبْنَـــاءِ مـــا سَـــطَرَتْ

أنْبـــاؤُهُ العَزَمـــاتِ وَالْجلَـــدا

مَجْـــدٌ علـــى الأيَّـــامِ.. لَـــوْ وَزَنُـــوا

مَجْـــدَ الأنَـــامِ بِبَعْضِـــهِ، مَجَـــدا[3]!

ألْـــوَتْ بِـــهِ الأعْـــداءُ، غَيْـــرَ سَـــنَا

ذِكْـــرٍ، كَـــالألاءِ الضُّـــحَى، خَلَـــدا[1]

هَـــلْ يُسْـــتَعادُ جَـــلالُ سُـــدَّتِهِ؟

حُضِـــيّ البَـــنِينَ عليـــه والحُفَـــدا[2]

نَسْـــتَعذِبُ الـــذِكْرَى، وَلَـــيْسَ بِنـــا

فَخْـــرٌ، لِنَبْعَـــثَ وانِيـــاً قَعَـــدا!

* * *

(١) البرد: جمع البردة، نوع من الأكسية.

(٢) أصباه: شاقه.. أعتبده: أتخذه عبداً.

(٣) مجده: غلبه في المجد، يقال: ماجده مجادا، عارضة بالمجد، وما جدته فمجدته أمجده، أي: غلبته بالمجد.

(١) ألوت به: ذهبت به.

(٢) الحفدا: مقصور الحفداء، واحدها حفيد، وهو ولد الولد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ربوة دمشق

هَـــــــلْ نَحْـــــــنُ في حُلُـــــــمٍ
مِـــــــنْ عَيْشِـــــــنا الرَّفِـــــــلِ؟[1]
نَنْســـــــــــاحُ في شَـــــــــبِمٍ
مِنْـــــــــهُ، وفي خَضِـــــــــلِ[2]

* * *

طافَـــــــتْ بِنـــــــا غُـــــــرَرٌ
كَأَنَّهـــــــــا سُـــــــــرُجُ[3]
تَزِينُهـــــــــا طُـــــــــرَرٌ
كأَنَّهـــــــــا سُـــــــــبَجُ[4]

* * *

مِـــــــنْ كُـــــــلِّ شـــــــائِقَةٍ
تُغْـــــــرَى بِهـــــــا المُقـــــــلُ
بَيْضـــــــــاءَ رائِقَـــــــــةٍ
يَحْلُـــــــو بِهـــــــا الغَـــــــزَلُ

* * *

نَغْـــــــدُو عَلَـــــــى نَغَـــــــمٍ
يَلـــــــــــذُّ كالقُبَـــــــــــلِ
حُلْـــــــــوٍ وَمُنْسَـــــــــجِمٍ

---

(١) الرفل: العيش الواسع السابغ.

(٢) الشبم: البارد. ـ الخضل: الندي المبتل.

(٣) الغرر: الوجوه الوضاء.

(٤) الطرر: جمع الطرة، وهي ما تطره المرأة من الشعر الموفى على جبهتها وتصففه. ـ السبج: جمع السبجة، بالضم، وكذلك السبيجة، وهي كساء أسود، والمراد بها لونها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كأنَّـــــــــــــــهُ غَزَلِـــــــــــــــي

* * *

في رَوْضَـــــــــــــــةٍ أُنُـــــــــــــــفٍ

تَعِـــــــــــــــجُّ بِـــــــــــــــالزَّهَرِ[1]

تَفُـــــــــــــــوحُ في لَطَـــــــــــــــفٍ

عَـــــــــنْ فـــــــــاغِمٍ عَطِـــــــــرِ[1]

* * *

كَـــــــــــــــأنَّ جَـــــــــــــــدْوَلَها

مِـــــــــــــــنْ طِيبِـــــــــــــــهِ عَسَـــــــــــــــلُ

كَـــــأنَّ بلبلَهـــــا مـــــن خمـــــرِهِ ثَمِـــــلُ

قامـــــت علـــــى جَبَـــــلٍ بالحُسْـــــنِ مُنْتَطِـــــقِ

مِـــــــــــــــنْ يـــــــــــــــانِعٍ خَضِـــــــــــــــلِ

أوْ زاهِـــــــــــــــرٍ أنِـــــــــــــــقِ[2]

* * *

أيّامُهـــــــــــــــا جُـــــــــــــــدُدٌ

يَحُفُّهـــــــــــــــا الطَّـــــــــــــــرَبُ

كَأنَّهـــــــــــــــا خُـــــــــــــــرُدٌ

في حُسْـــــــــــــــنِها، عُـــــــــــــــرُبُ[3]

* * *

شـــــــــــــــاقَ الأصَـــــــــــــــيلُ بِهـــــــــــــــا

---

(١) روضة أنف: جديدة، لم ترْعَ من قبل.

(١) اللطف، بفتحتين: كاللطف بالضم والسكون، وهو الرفق. ـ فاغم: مالئ الأنوف برائحته الطيبة.

(٢) اليانع: الثمر الناضج.

(٣) الخرد: جمع خرود، وهي المرأة الحيية، والبكر لم تمس. ـ العرب: جمع عروب، وهي المتحببة إلى زوجها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَاسْتَضْحَكَ الشَّفَقُ[1]

كِأنَّ مَغْرِبَهَا

تَبْدو بِهِ (الشَّرَقُ)[2]

* * *

مَنْ لِي بِهَا مُتَعاً

تَدُومُ لَذَّتُها؟

لا جُزْنَ بي لُمَعاً

تَغِيبُ لَمْحَتُها!

* * *

(١) الأصيل: الوقت حين تصفر الشمس لمغربها.

(٢) الشرق، بفتحتين: الشمس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحتوى

1 ــ دمشـــــــقُ في عيون الأثريّ
بقلم: يسار بهجة الأثري..... 7
2 ــ المقدّمة
بقلم: الدكتور عدنان الخطيب 11
3 ــ الثورة السورية 45
4 ــ حمى العروبة 51
5 ــ في الَقْيدِ تَزْأرُ..... 55
6 ــ دِمَشْقُ... في ذكرى جَلاءِ فِرَنسَةَ 57
7 ــ دمـــشـــــــق..... 65
8 ــ دمشق.. جمال وتاريخ 73
9 ــ ربوة دمشق..... 85